

# النبي

## لجبران خليل جبران

وضعه باللغة الأنكليزية وقد ترجمه الى العربية

الارشمندريت انطونيوس بشير

ان جميع كتابات جبران تدعو الى التفكير  
المعيق . فان كنت تخاف ان  
تفكر فالاجدر بك ألا تقرأ جبران .

عنى بمشبره ..

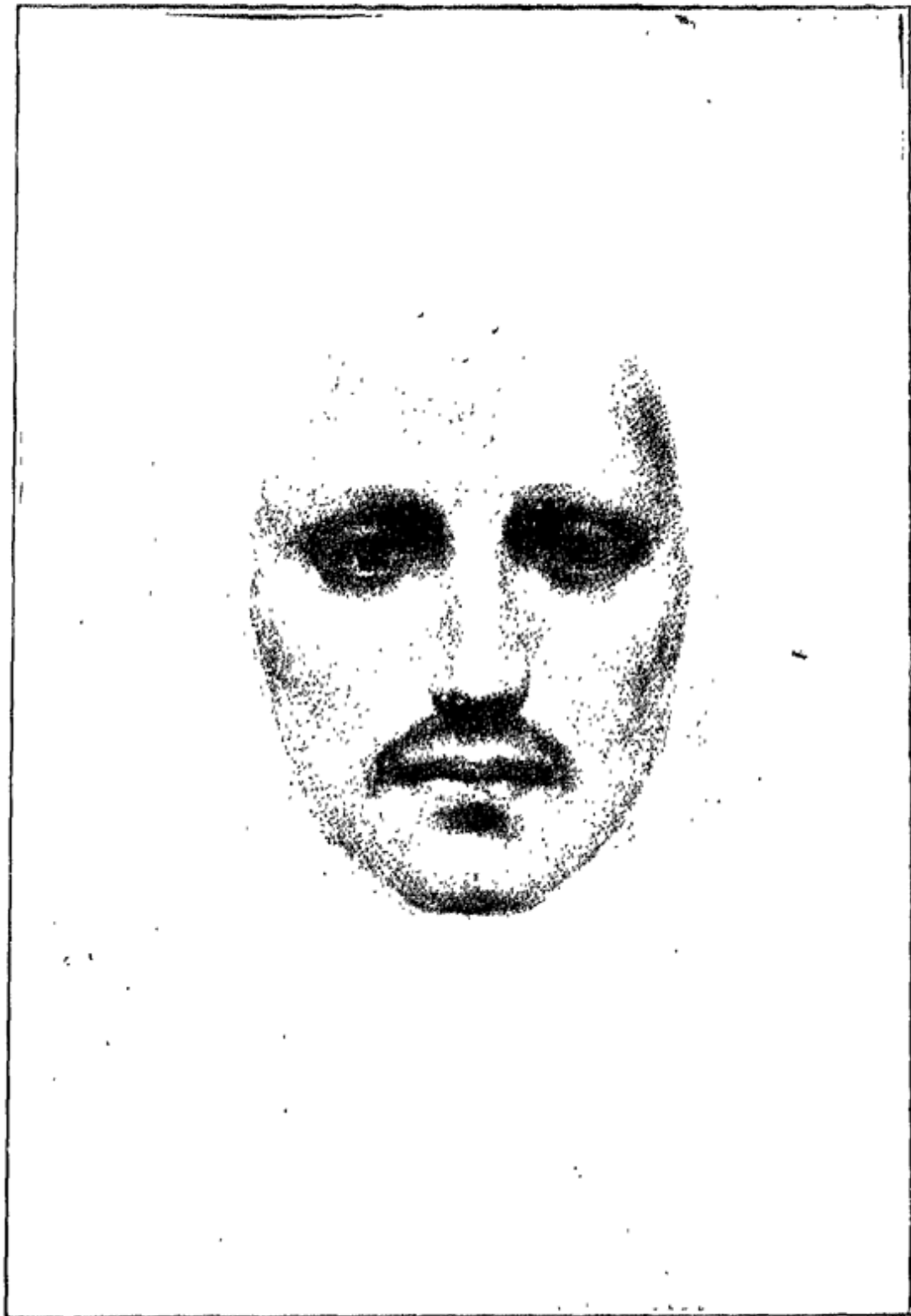
### يوسف توما البستاني

صاحب مكتبة العرب بالفسطاط بمصر

الطبعة الاولى

جميع الحقوق محفوظة للمعرب





1. *idaho*



## كلمة المترجم

لو قَصَرْنَا الدين على اِثوابِهِ الخارجية لكان جبران كافرًا  
وكان المترجم هذا الكتاب مخطئًا في نقله إلى العربية -  
وإن كان ناقل الكفر ليس بكافر . ولكن لو نظرنا في الدين  
إلى جوهره دون قشوره ، لرأينا أن جبران في طليعة المؤمنين  
العاملين على نشر الحقيقة الأزلية مجردة عن زخرف الوهم  
وبهرجة الرسم ، متحليةً بجلباب فتان من الفن الخالد .  
في العقائد والمذاهب المنتشرة في العالم اليوم ، كما في جميع  
نُظُمِهِ الاجتماعية ، قشورٌ يابسة ممتلئة من سوس الماضي  
تكاد تقضى على البقية الباقية من اللباب في هذه العقائد  
والمذاهب . فهناك أنصارُ الحرف القاتل الذين يؤلفون  
الأكثرية الساحقة بين ذوى الشرائع يحاربون الروح المجددة  
بكل مaldiهم من آلات الحرب والشر التي ورثوها عن

جدودهم الغيرُ على فريسيَّة الناموس والأُنبياء . هؤلاء هم أُنبياء ظلمة الأُمس يقضون أعمارهم متمسكين بأهداب الشريعة الصَّماء ، وإن كانت الشريعة تقتل أرواحهم وتعمل على قهرهم وجمودهم ومذلهم . وهناك أنصارُ الروح المحيية الذين يؤلفون الأقلية الصغرى في الناس يحاربون جيوش الظلمة ويحسرون القناع عن وجه الحقيقة بكل ما أُوتوا من حكمة ومعرفة . هؤلاء هم أُنبياء نور الغد يحترمون الشريعة بمقدار ما تحترم الشريعة الحياةَ التي في قلوبهم . ويضربون بها عرض الحائط إذا كانت تغلُّ إرادتهم وتثقل كاهلهم بنير الجهل والغباوة .

والأديبُ المجدد ، الذي دُعيَ بحق نابغة المهجر ورسول الشرق إلى الغرب ، جبران خليل جبران مؤلف هذا الكتاب هو في مقدمة أنصار الروح هؤلاء . ولذلك يسرني أن أقدم إلى قراء العربية المفكرين خلاصة أفكاره وآرائه في أسرار الحياة من المهد إلى اللحد ، مجموعة في هذا الكتاب الصغير الطافح بشعرات نبوغه وعبقريته .

رجل ، إن في أعماق جبران نفساً تطمح الى الجديد  
المفيد ، وتنفر من كل تقليد بليد ، فهو لا يكتب إلا ما يعتقدُه  
حقاً وصواباً ، ولذلك تأتي كتابتهُ مرآة نقية تعكس شخصية  
كبيرة تأبى أن تتقيّد بقيود الماضي أو أن تلبس حلة  
غير حلتها ، بيد أن هذه الشخصية الممتازة قد ظهرت في  
أوج عظمتها وكمال روحانيتها في هذا الكتاب الذي أودعه  
المؤلف خلاصة آرائه في الحب والزواج ، والأولاد ، والبيوت  
والثياب ، والبيع ، والشراء ، والجرائم ، والعقوبات ، والحرية  
والشرائع ، والعقل ، والهوى ، والآثم ، والصدقة ، والدين  
والموت ، وغير ذلك ، على لسان نبي سماء المصطفى ، وكأنتنا  
بالمؤلف قضى حياته يستعد لآخراج هذا السفر النفيس ،  
فإن كتبه السابقة من عربية وانكليزية ليست سوى مقدمات  
لما في هذا الكتاب من حكمة ، وفلسفة ، وشعر وفن ، فلا  
ترى فيه جبران الثائر الذي تراه في العواصف ( والارواح  
المتردة ) ، ولا جبران الشاعر الذي تراه في « أيتها الارض »  
و « أيتها الليل » وغيرها ، ولا جبران المتألم في « لكم

لبنانكم ولى لبنانى ، ، وفى صورة « وجه أمى وجه أمى »  
ولا جبران المعلم الحكيم فى « القشور واللباب » ( والمجنون  
والسابق ) ولا جبران الرسام الرمزى فى جميع ما أبرزته ريشته  
الساحرة ، ولا جبران الخيالى فى بين ليل وصباح ، وفى حفار  
القبور ، بل ترى فى هذا الكتاب جبران الذى هو مزيج من  
هذه العناصر جميعها ، بل هو خلاصتها المختارة . فانك لا تقرأ  
فصلاً من فصوله الا وترى أمامك حكمة من خيال وفلسفة  
فى بلاغة وجمال <sup>(١)</sup>

قال أحد كبار المفكرين الغربيين ، « أن جبران حدث  
فى العمر ولكنه شيخ فى الحياة ، فهو كالأحداث تواق للجمال  
وكالشيخ متعشق للحكمة والحقيقة . فكأننا به يقول ،  
سأدرك جميع الحقائق ، سأعرف ما لا يوجد ناقصاً فى الموازين ،  
سأبكي مع الباكين ، وسأضحك مع الضاحكين ، سأسيح فى  
جميع الفصول ، وحيثما سرت سأهتدى الى محبتي .  
وقال آخر « ليس فى حياة جبران من أثر للتقليد

أو الجمود ، فلا هو بالمتفائل ، ولا بالمتشائم ، ولا هو بالكاهن  
ولا بالكافر . بيد أنه بالحقيقة نبي بعيد النظر . مترنم أبداً  
بأناشيد الفن الخالدة . ولعله يرى بعينه الشرقتين مالا تناح  
لنا رؤيته نحن أبناء الغرب ، ولا غرو ، فإن معلمى الانسانية  
جاءوا دائماً من الشرق ! »

وقال أديب آخر : « إن جميع كتابات جبران تدعو إلى  
التفكير العميق ، بل ترغم قارئها إلى إعمال ذهنه وعقله . فإن  
كنت تخاف أن تفكر فالأجدر بك ألا تقرأ جبران . »  
وقال غيره : « نحن نعتقد أن مؤلفات جبران بستان  
خالد ممتلئ بأثمار الغبطة والبهجة . بل هو جنة نور عجيب  
لا يعثر فيها حتى أعداء الحقيقة أنفسهم . »

وقال آخر : ان جبران قد اقترب من الغرب ، وعلى  
شفتيه ابتسامة الشرق الجميلة ، يحمل عطية ثمينة في صدره  
لكي يقدمها إلى الغرب . فقد جاء كالسيح يطفح قلبه محبةً  
وقال أوغست رودين أعظم نحّاتى العصر الحاضر بعد  
أن عرف جبران عند ما كان يعرض صورته في باريس ،

« أن العالم يجب أن ينتظر كثيراً من شاعر لبنان ونابعته جبران . فهو وليم بلايك القرن العشرين !

هذا قليل من كثير مما لدينا من أقوال علماء الغرب في مؤلف « النبي » رأينا أن تثبته لئلا بناء الشرق لكي يعرفوا أن الغرب يقدر النابهين من رجال الشرق قدرهم وينزلهم منزلتهم من الاعتبار . وربما كانت هذه أبرز ميزات الغرب على الشرق في استثمار مواهب الناس .

ولابد لنا قبل الفراغ من كلمتنا هذه أن نلفت أنظار القراء الكرام إلى الملاحظات التالية :

(١) جبران يصور فكره قبل أن يعبر عنه بالألفاظ ، لأنه من نوابع المصورين ، لذلك فليعن القارى بدرس صورة كل فكر من أفكار المؤلف قبل أن يدرس الألفاظ التي تعبر عنها .

(٢) جبران مفكر عميق وشاعر غير مخير في شاعريته ، فكل عبارة تخرج من شفثيه ملؤها الفكر والشعر .

فاذا لم تشاطر جبران شعوره ، وتصنع فكرك بصيغة فكره  
فعبثاً تحاول أن ترافقه في سياحاته

(٣) ليس جبران كافراً ، بل هو مؤمن صادق في دينه  
وهو يعتقد أن الدين كل ما في الحياة من الأعمال والتأملات  
وربما كان الفرق بين دينه ودين الذين يرشقونه ( بالحرمة الثقيل )  
كالفرق بين دين يسوع ودين الكتبة والفريسيين المرائين  
الذين كانوا يقولون إن فيه شيطانا !

(٤) رأينا أن ثبت في ترجمة « النبي » العربية الرسوم  
الاثني عشر التي رسمها المؤلف للأصل الأنكليزي « ولله  
هذه الرسوم البديعة التي لا بد منها لإكمال الكتاب .  
فالصورة الأخيرة من أروع ما تصور به القوة المدبرة التي وراء  
هذا الكون — يد تعمل ، وبصيرة ترى ، وحولها العوالم  
صنعها في حلقات متراكزة » . ومع أن هذا النوع من  
التصوير الرمزي جديد في العالم العربي فإنه أجمل ما تزين به  
المتاحف ودور العلم وبيوت العبادة في العالم المتمدن . لذلك

فليُنظر القارئُ إلى الحقيقة التي يرمز إليها كل رسم من هذه الرسوم قبل أن يقصر نظره على الرسم نفسه.

(٥) ليس « النبي » رواية أو حكاية يكفي أن يمرَّ بها القارئُ ليدرك فحواها ، ويفهم الحقيقة المنطوية عليها ، ولكنه دائرة علم ، وأدب ، وفن ، وحكمة ، وفلسفة . فلا تترك عبارة من عباراته قبل أن تقف على الحقيقة التي وراءها . وتتفهم العقيدة الجديدة التي تحملها إليك ، فإن جاءت مثبتة لما لديك فاقبلها واحتفظ بها . وإن جاءت غريبة عما عرفتَه وألقته فلا ترفضها بل ضعها في دائرة من ذاكرتك ثم عدُ إليها بعد حين متذكراً أن الذين اضطهدوا غاليليو واحتقروا آراءه الغريبة ما كانوا ليضطهدوه لو عاد وعادوا إلى

الحياة اليوم !  
أميركا الشمالية

الارشمندريت انطونيوس بشير

## الذبي

وظلّ المصطفى ، المختار الحبيب ، الذى كان فجراً لذاته ،  
يتربّعُ عودة سفينتهِ فى مدينة أورفليس اثنتى عشرة سنة  
ليركبها عائداً الى الجزيرة التى وُلِدَ فيها .

وفى السنة الثانية عشرة ، فى اليوم السابع من ايلول ،  
شهر الحصاد ، صعد الى قنة أحدى التلال القائمة وراء  
جدران المدينة وألقى نظرة عميقة الى البحر ، فرأى سفينتهُ  
تمخرُ عبابَ البحر مغمورة بالضباب .

فاختلج قلبه فى أعماقه ، وطارت روحه فوق البحر فرحاً  
فأغمض عينيه ، ثم صلى فى سكون نفسه .



غير أنه ما هبط عن التلة حتى فاجأته كآبة صماء ، فقال

فى قلبه :

كيف أنصرف من هذه المدينة بسلام ، وأسير في البحر  
من غير كآبة ؟ كلا ، أننى لن أبرح هذه الأرض حتى تسيل  
الدماء من جراح روحي .

فقد كانت أيام كآبتي طويلة ضمن جدرانها ، وأطول  
منها كانت ليالى وحدتى وانفرادى ، ومن ذا يستطيع أن  
ينفصل عن كآبته ووحدته من غير أن يتألم في قلبه ؟

كثيرة<sup>١</sup> هي أجزاء روحي التى فرقها في هذه الشوارع ،  
وكثير هم أبناء حنيني الذين يمشون عراة بين التلال ، فكيف  
أفارقهم من غير أن أثقل كاهلى وأضغط روحي !  
فليس ما أفارقه بالثوب الذى أنزعه عني اليوم ثم ارتدى  
به غداً ، بل هو بشرة<sup>٢</sup> أمزقها يدي .

كلا ، وليس فكراً أخلفه ورائى ، بل هو قلب<sup>٣</sup> جملة<sup>٤</sup>  
مجاعتى وجعاه عطشى رقيقاً خفوقاً .

ييد أننى لا أستطيع أن ابطىء فى سفرى .  
فان البحر الذى يدعو كل الأشياء إليه يستدعنى ، فيجب  
على أن أركب سفينتى وأسير فى الحال إلى قلبه .  
ولو أقمت الليلة ههنا ، فأنى ، مع أن ساعات الليل  
ملتهبة ، أجد وأتبلور ، وأتقيّد بقيود الأرض الثقيلة .  
وإننى أودّ لو يُتاح لى أن يصحبنى جميع الذين ههنا .  
ولكن أنى يكون لى ذلك ؟  
فان الصوت لا يستطيع أن يحمل اللسان والشفتين اللواتى  
تسلحن بجناحيه . ولذلك فهو وحده يخرق حُجُبَ الفضاء .  
أجل ، والنسر ، ياصباح ، لا يحمل عشه بل يطير وحده  
محلّقاً فى عنان السماء .



وعند ما بلغ المصطفى الى سفح التلة ، التفت ثانية إلى  
البحر ، فرأى سفينته تدنو من المرفأ ، وابناء بلاده يروحون  
ويجيئون على مقدمها .

فهتف لهم من صميم قواده وقال :  
يا أبناء أمتي الأولى أيها الراكبون متون الأمواج ،  
المذلون مدّها وجزرها .

كم من مرة أبحرتم في أحلامي . وها قد أتيتم ورايتكم  
في يقظتي التي هي أعمق أحلامي .

إنني على أتم الأبهة للإبحار ، وفي أعماقي شوق عظيم  
يتربّح هبوب الريح على القلوع بفارغ الصبر .

ولكنني أودّ أن أتنفس مرة واحدة في هذا الجو  
الهادي ، وإن أبث بنظرة عطف واحدة إلى الوراء .

وحينئذ أقف معكم ، ملاحاً بين الملاحين .  
أما أنت أيها البحر العظيم ، أيها الأمّ الهالجة .  
أنت أيها البحر العظيم الذي فيك وحدك يجد النهر  
والجدول سلامهما وحرتهما .

فاعلم أن هذا الجدول إن يدور إلا دورة واحدة بعد ،  
ولن يسمع أحدٌ خريزه على هذا المعبر بعد اليوم ، حينئذ



18 ixano



آتى اليك ، نقطةً طليقةً إلى أوقيانوس طليق .

\*  
\* \*

وفيما هو ماش رأى عن بُعد رجالاً ونساءً يتركون  
حقولهم وكرومهم ويهرولون إلى أبواب المدينة .

وسمعهم يصرخون بعضهم ببعض من حقل إلى حقل  
مرددين اسمه وكلّ منهم يحدث رفيقه بقدوم سفينته .

\*  
\* \*

فقال في نفسه :

أ يكون يوم الفراق يوم الاجتماع ؟  
أم يجرى على الأفواه أن مسائي كان فجرًا لي ؟  
وماذا يجدر بي أن أقدم للفلاح الذى ترك سكنته فى نصف  
ثلمه ، وللكرام الذى أوقف دولاب معصرته ؟  
أ يتحول قلبى إلى شجرة كثيرة الأثمار فاقطف منها

واعطيهم ؟

أم تقيض رغباني كالينبوع فاملاً كؤوسهم ؟  
هل أنا قيثارة فتلامسني يدا القدير ، أم أنا مزمار  
فتمرّبي أنفاسه ؟

أجل ، إنني هائم أنشد السكينة ، ولكن ماهو الكنز  
الذي وجدته في السكينة لكي أوزعه بطمأنينة ؟  
وان كان هذا اليوم يوم حصادي ، ففي أية حقول بذرت  
بذاري . وفي أي فصلٍ من الفصول المجهولة كان ذلك ؟  
وان كانت هذه هي الساعة التي يجدر بي أن أرفع فيها  
مصباحي واضعاً إياه على منارتي ، فان النور الذي يتصاعد منه  
ليس مني :

لأنني سأرفع مصباحي فارغاً مظلماً .  
ولكن حارس الليل سيملاه زيتاً ، وسينيره أيضاً .



قال هذا معبراً عنه بالألفاظ . ولكن كثيراً مثل هذا

حفظه في قلبه من غير أن يعلنه . لأنه هو نفسه لم يقدر  
ان يوضح سره العميق .

\*  
\* \*

وعند ما دخل المدينة استقبله الشعب بأسره ، وكانوا  
يهتفون له مرحبين به بصوت واحد .  
فوقفه شيوخ المدينة وقالوا له :  
بربك لا تفارقنا هكذا سريعاً .  
فقد كنتَ ظهيرةً في شفقنا ،  
وقد أوحى شبابك الأحلام في نفوسنا .  
وانت لست بالغريب بيننا ، كلا ، ولا انت بالضيف ،  
بل انت ولدنا وقسيم ارواحنا الحبيب .  
فلا تجعل عيوننا تشتاق الى رؤية وجهك .

\*  
\* \*

ثم قال له الكهان والكاهنات :

لا تأذن لأُمواج البحر أن تفصل بيننا ، فتجعل  
الاعوام التي قضيتها بيننا نسيًا منسيًا .  
فقد كنت فينا روحًا محيية ، وكان خيالك نورًا يشرق  
على وجوهنا .

قد تشقتك قلوبنا ، وعلقتك ارواحنا ،  
ولكن محبتنا تقنعت بحُجب الصمت ، فلم نستطع ان  
نعبر عنها .

ييدانها تصرخ اليك الآن بأعلى صوتها ، وتمزق  
حُجبها يديها ، لكي تظهر لك حقيقتها .  
فان المحبة منذ البدء لا تعرف عمقها الا ساعة الفراق .



ثم جاء اليه كثيرون متوسلين متضرعين . فلم يردَّ على  
أحدٍ جوابًا . ولكنه كان يحنى رأسه ؛ وكان الواقفون  
حوله ينظرون عبراته تتساقط بغزارة على وجنتيه وصدره .

وظل يمشى مع الشعب حتى وصلوا الى الساحة الكبرى  
أمام الهيكل



وحدث اذ ذاك ان امرأة عرافة خرجت من المقدس ،  
اسمها المِطْرَة .

فنظر اليها نظرة ملؤها الحب والحنان ، لأنها كانت  
أول من سعى اليه وآمن به مع انه لم يكن له الا ليلة  
وضحاها في مدينتهم .

فخيتته باحترام وقالت له :

يا نبي الله ، قد طالما كنت تسعى وراء ضالتك المنشودة ،  
مفتشاً عن سفينتك التي كانت بعيدةً عنك .

وها قد وصلت سفينتك ، ولم يبق من بدّ لسفرك .  
عظيمٌ هو حنينك الى أرض أحلامك وتذكاراتك  
ومواطن الفائقات من رغباتك ، ولذلك فازمجبتنا لا تقيدك ،  
وحاجتنا اليك لا تمسك بك .

ولكننا واحدة نسألك قبل أن تفارقنا :  
أن تخطب فينا وتعطينا من الحق الذى عندك .  
ونحن نعطيه لأولادنا ، وأولادنا لأولادهم وأحفادهم ،  
وهكذا يثبت كلامك فينا على ممر العصور .  
ففى وحدتك كنت ترقب أيامنا ، وفى يقظتك كنت  
تبصنى الى بكائنا وضحكنا فى غفلتنا .  
لذلك نضرع اليك أن تكشف مكنوناتنا لذواتنا ،  
وتخبرنا بكل ما أظهر لك من أسرار الحياة من المهد الى اللحد  
فأجاب قائلاً :



يا أبناء اورفليس ، بماذا احدثكم ان لم أظهر لكم  
ما يحتلج فى نفوسكم وتتحرك به ضمائركم حتى فى هذه  
الساعة ؟



حينئذ قالت له المطرة ، هات لنا خطبة فى المحبة .



۲۰ *ixino*



فرفع رأسه ونظر الى الشعب نظرة محبة وحنان،  
فصمتوا جميعهم خاشعين . فقال لهم بصوت عظيم  
اذا أشارت المحبة اليكم ، فاتبعوها ،  
وإن كانت مسالكها صعبة متحدرة .  
واذا ضمتكم بجناحيها ، فأطيعوها ،  
وان جرحكم السيف المستور بين ريشها .  
واذا خاطبتكم المحبة ، فصدقوها ،  
وإن عطل صوتها أحلامكم وبددها كما يجعل الريح  
الشمالية البستان قاعاً صفصفا



لانه كما ان المحبة تكللكم ، فهي أيضا تصلبكم .  
وكما تعمل على نموكم ، هكذا تعامكم وتستأصل  
الفساد منكم .  
وكما ترتفع الى أعلى شجرة حياتكم فتعانق أغصانها  
اللطيفة المرتعشة امام وجه الشمس ،

هكذا تنحدرُ الى جذورها الملتصقة بالتراب وتهزُّها  
في سَكينة الارض



المحبة تضمكم الى قلبها كاغمار الجنوب .  
وتدرسكم على بيادرها لكي تظهر عريكم .  
وتقر بلكم لكي تحرِّركم من قشوركم .  
وتطحنكم لكي تجعلكم أنقياء كالثلج .  
وتعجنكم بدموعها حتى تلينوا ،  
ثم تعدكم لئلا يارها المقدسة ، لكي تصيروا خبزاً مقدساً  
يقرب على مائدة الرب المقدسة .



كل هذا تصنعه المحبة بكم لكي تدركوا أسرار قلوبكم ،  
فتصبحوا بهذا الادراك جزءاً من قلب الحياة



غير انكم اذا خفتم ، وقصرتم سعيكم على الطمأنينة  
واللذة في المحبة :

فلا جدر بكم أن تستروا عريكم وتخرجوا من بيدر  
المحبة ، الى العالم البعيد حيثما تضحكون ، ولكن ليس كل  
ضحككم ، وتبكون ، ولكن ليس كل ما في ما فيكم من  
الدموع .



المحبة لا تعطى الا نفسها ، ولا تأخذ الا من نفسها .  
المحبة لا تملك شيئاً ، ولا تريد ان يملكها احد :  
لان المحبة مكتفية بالمحبة .



اما أنت اذا أحببت فلا تقل ، « ان الله في قلبي » ،  
بل قل بالاحرى ، « انا في قلب الله » .  
ولا يخطر لك البتة انك تستطيع أن تتسلط على مسالك

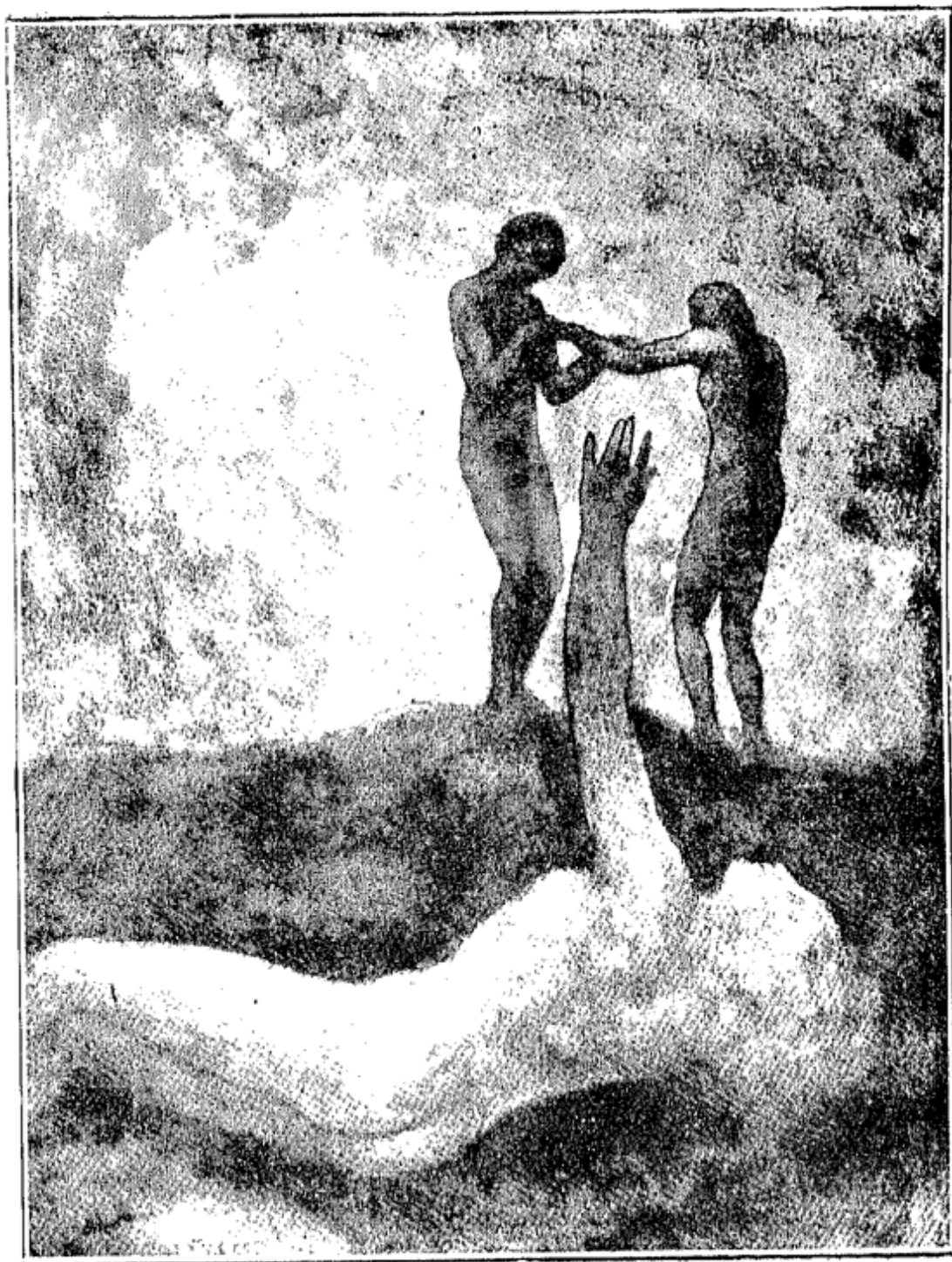
المحبة ، لان المحبة ، ان رأيت فيك استحقاقاً لنعمتها ، تتسلط  
هي على مسالكك .



والمحبة لا رغبة لها الا في أن تكمل نفسها ،  
ولكن اذا أحببت ، وكان لا بد من أن تكون لك  
رغبات خاصة بك ، فلتكن هذه رغباتك .  
أن تذوب وتكون كجدول متدفق يشنف آذان الليل  
بانغامه .

أن تجرب الآلام التي في العطف المتناهي .  
أن يجرحك ادراكك الحقيقي للمحبة في حبة قلبك :  
وأن تنزف دماؤك وانت راض مغبوط .  
أن تهض عند الفجر بقلب مجنح خفوق ، فتؤدي  
واجب الشكر ملتصقاً يوم محبة آخر  
أن تستريح عند الظهيرة وتناجي نفسك بوجد المحبة :  
أن تعود الى منزلك عند المساء شاكراً :





٢٥ ابريل

فتنام حينئذ والصلاة لأجل من أُحييت تترددُ في قلبك وانشودة الحمد والثناء مرتسمة على شفَتَيْكَ  
ثم قالت له المطرة ثانية ، ومارأيتك في الزواج أيها المعلم ؟  
فأجاب قائلاً :

قد ولدتُم معاً ، وستظلون معاً الى الأبد .  
وستكونون معاً عندما تبدد أيا مكم أجنحة الموت البيضاء .  
أجل ، وستكونون معاً حتى في سكون تذكارات الله .  
ولكن فليكن بين وجودكم معاً فسحات تفصلكم  
بعضكم عن بعض ، حتى أن أرياح السماوات ترقص فيما بينكم  
أحبوا بعضكم بعضاً ، ولكن لا تقيّدوا المحبة بالقيود  
بل لتكن المحبة بحراً متموجاً بين شواطئ نفوسكم .  
املاؤا كل واحد منكم كأس رفيقه ، ولكن  
لا تشربوا من كأس واحدة .

أعطوا من خبزكم كل واحد لرفيقه ولكن لا تأكلوا  
من الرغيف الواحد .

غنوا وارقصوا معاً ، وكونوا فرحين أبداً ، ولكن  
فليكن كل منكم وحده ،  
كما أن أوتار القيثارة يقوم كل واحد منها وحده  
ولكنها جميعاً تخرج نغماً واحداً .



أعطوا كل منكم قلبه لرفيقه ، ولكن حذار أن  
يكون هذا العطاء لأجل الحفظ .

لأن يد الحياة وحدها تستطيع أن تحتفظ بقلوبكم .  
قفوا معاً ولكن لا يقرب أحدكم من الآخر كثيراً :  
لأن عمودى الهيكل يقفان منفصلين ،

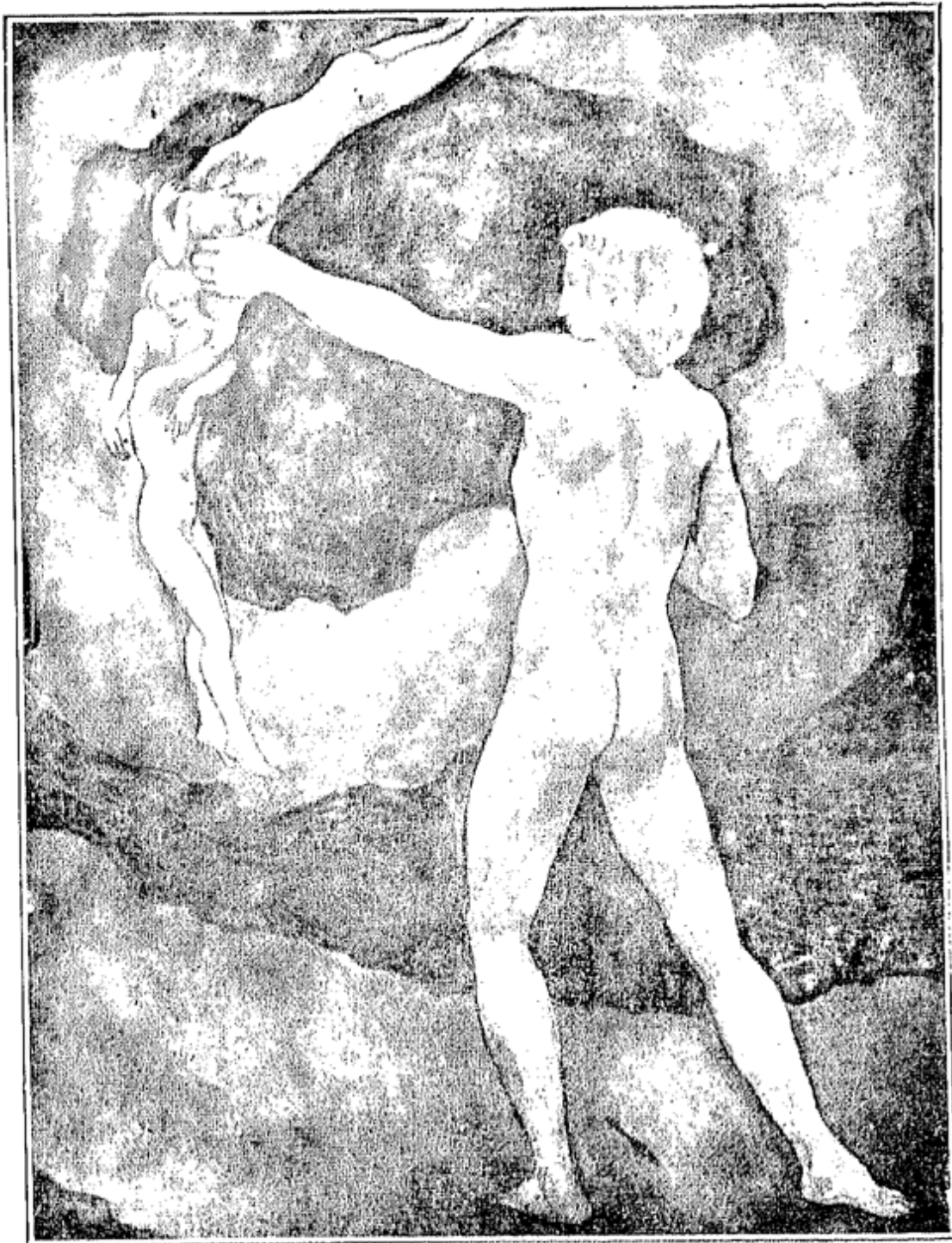
والسنديانة والسروة لا تنمو الواحدة منهما في ظل رفيقتها .  
ثم دنت منه امرأة تحمل طفلها على ذراعيها وقالت له :

هات حدثنا عن الأولاد .

فقال :

ان أولادكم ليسوا أولاداً لكم .





۲۷ ۱۲۰۰

انهم ابناء وبنات الحياة المشتاقة الى نفسها ، بكم يأتون  
الى العالم ولسكن ليس منكم ؛

ومع أنهم يعيشون معكم فهم ليسوا ملكاً لكم .  
أنتم تستطيعون أن تمنحوهم محبتكم ، ولكنكم لا تقدرون  
أن تفرسوا فيهم بذور أفكاركم ، لأن لهم أفكاراً خاصة بهم .  
وفي طاقتكم أن تضعوا المساكن لجسادهم ،  
ولكن نفوسهم لا تقطن في مساكنكم ،  
فهي تقطن في مسكن الغد ، الذي لا يستطيعون أن  
تزووه ولا في أحلامكم .

وان لكنكم ان تجاهدوا لكي تصيروا مثلهم ،  
ولكنكم عبيثاً تحاولون أن تجعلوهم مثلكم .  
لأن الحياة لا ترجع الى الوراء ، ولا تلذ لها الإقامة  
في منزل الانس .

أنتم الأقواس وأولادكم سهام حية قد رمت بها الحياة  
عن أقواسكم .

فإن رامى السهام ينظر العلامة المنصوبة على طريق  
اللانهاية ، فيلويكم بقدرة لكن تكون سهامه سريعة  
بعيدة المدى .

لذلك فليكن التواؤم بين يدى رامى السهام الحكيم  
لأجل المسرة والغبطة :

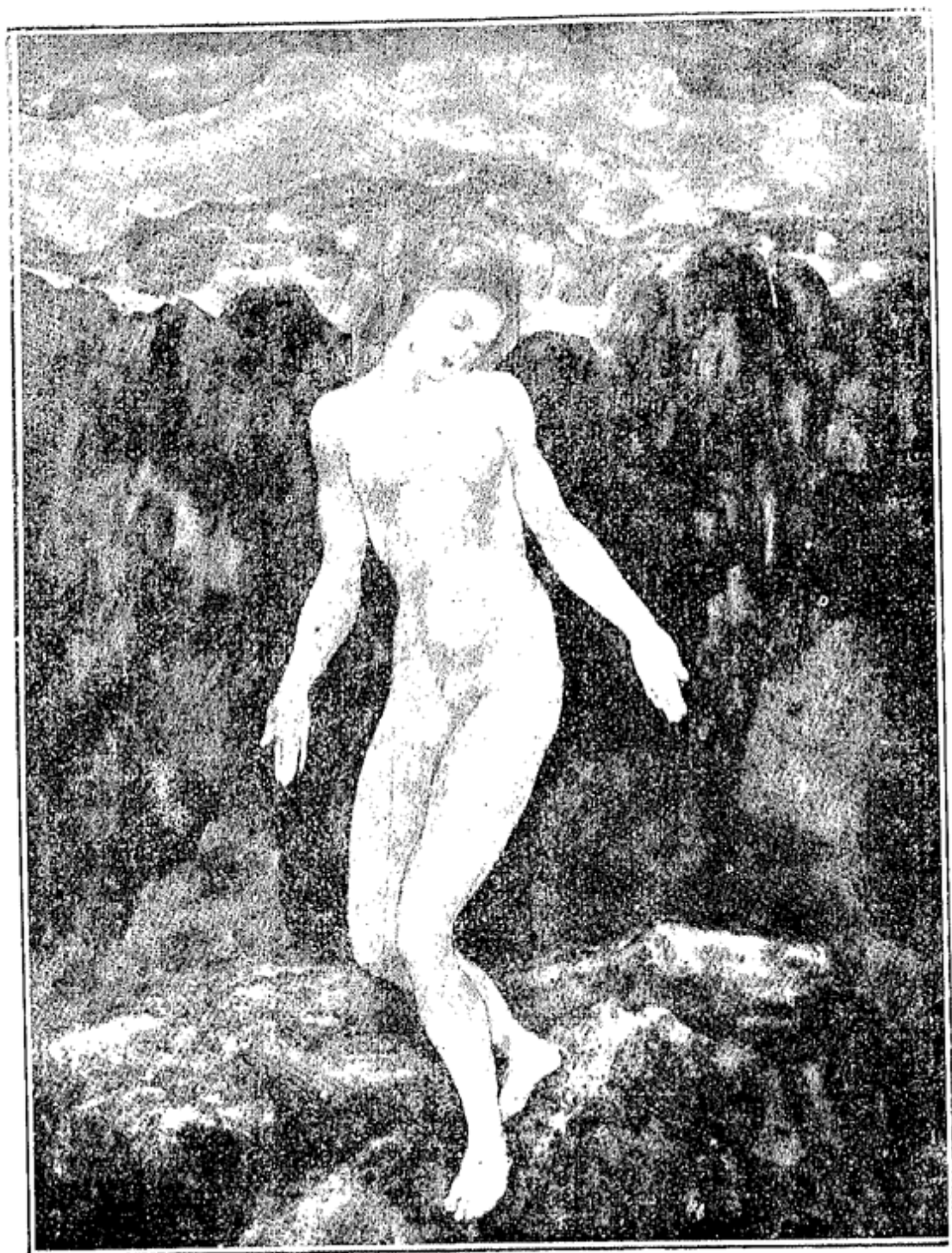
لأنه كما يحب السهم الذى يطير من قوسه ، هكذا  
يحب القوس التى تثبت بين يديه .

ثم قال له رجل غنى ، هات حدثنا عن العطاء .  
فأجاب قائلاً :

انك اذا أعطيت فانما تعطى القليل من ثروتك .  
ولكن لا قيمة لما تعطيه مالم يكن جزءاً من ذاتك .  
لأنه أى شىء هى ثروتك ؟

أليست مادة فانية تخزنها فى خزائنك وتحافظ عليها  
جهدك خوفاً من أن تحتاج اليها غداً ؟

والغد ، ماذا يستطيع الغد أن يقدم للكلب البالغ الفطنة



۲۸ ایس



الذى يطمر العظام فى الرمال غير المطروقة وهو يتبع الحجاج  
الى المدينة المقدسة ؟

أوليس الخوف من الحاجة هو الحاجة بعينها ؟  
أم ليس الظمُّ الشديد للماء عندما تكون برؤ الظامِّ  
ملاّنة هو العطش الذى لا تروى غلته ؟



من الناس مَنْ يعطون قليلاً من الكثير الذى عندهم —  
وهم يعطونه لاجل الشهرة ، ورغبتهم الخفية فى الشهرة الباطلة  
تضيع الفائدة من عطاياهم .

ومنهم من يملكون قليلاً ويعطونه بأسره .  
ومنهم المؤمنون بالحياة وبسخاء الحياة ، هؤلاء لا تفرغ  
صناديقهم وخزائنهم ممتلئة أبداً .

ومن الناس من يعطون بفرح ، وفرحهم مكافأة لهم .  
ومنهم من يعطون بالملء ، وألمهم معمودية لهم .  
وهناك الذين يعطون ولا يعرفون معنى للألم فى عطائهم ،

ولا يتطلبون فرحاً ، ولا يرغبون في اذاعة فضائلهم ؛  
هؤلاء يعطون مما عندهم كما يعطى الريحان عيره العطر  
في ذلك الوادى .

بمثل أيدي هؤلاء يتكلم الله ، ومن خلال عيونهم  
يبتسم على الأرض .



جميل أن تعطى من يسألك ما هو في حاجة اليه ،  
ولكن أجمل من ذلك أن تعطى من لا يسألك وأنت  
تعرف حاجته ؛ فان من يفتح يديه وقلبه للعطاء يكون له  
فرحٌ بسعيه الى من يتقبل عطاياه والاهتداء اليه أعظم مما  
بالعطاء نفسه .

وهل في ثروتك شيء تقدر ان تستبقيه لنفسك ؟  
فان كل ما تملكه اليوم سيتفرق ولا شك يوماً ما ،  
لذلك أعط منه الآن ، ليكون فصل العطاء من  
فصول حياتك أنت دون ورثتك .



وقد طالما سمعتك تقول متبجحاً ، « اننى أحب ان  
أعطى ، ولكن المستحقين فقط . »

فهل نسيت يا صاح ، ان الاشجار فى بستانك لا تقول  
قولك ، ومثلها القطعان فى مراعيك ؟  
فهى تعطى لكى تحيا ، لأنها اذا لم تعطِ عرضت حياتها  
للهلكة .

الحق اقول لك ، ان الرجل الذى استحق ان يقبل  
عطية الحياة ويتمتع بايامه ولياليه ، هو مستحق لكل  
شئ منك .

والذى قد استحق ان يشرب من اوتيانوس الحياة  
يستحق أن يملأ كأسه من جدولك الصغير .

لانه اى صحراء اعظم من الصحراء ذات الجراءة  
والجسارة على قبول العطية بما فيها من الفضل والمنة ؟

وانت ، من أنت ، حتى ان الناس يجب ان يمزقوا  
صدورهم ويحسروا التناع عن شهادتهم وحنة نفوسهم لكى

ترى جدارتهم لعطائك عارية وانفتهم مجردة عن الحياء ؟  
فانظر اولاً هل انت جدير بان تكون معطاءً ، وآلة  
العطاء

لان الحياة هي التي تعطى للحياة ، — في حين انك ،  
وانت الفخور بان قد صدر العطاء منك ، — لست بالحقيقة  
سوى شاهد بسيط على عطائك .

\*  
\* «

أما انتم ، الذين يتناولون العطاء والاحسان ، — وكلكم  
منهم ، — فلا تتظاهروا بثقل واجب معرفة الجميل ، لئلا  
تضعوا بايديكم نيراً ثنيلاً الحمل على رقابكم ورقاب الذين  
اعطوكم .

بل فلتكن عطايا المعطى أجنحة ترتفعون بها معه :  
لانكم اذا اكثرتم من الشعور بما انتم عليه من الدين ،  
فانكم بذلك تظهرون الشك والريبة في اريحية المحسن الذي  
الارض السخية امه ، والرب الكريم ابوه .

وبعد ذلك جاء اليه فندقى شيخ وقال له ، بهات حدثنا  
عن الماء كل والمشرب .  
فاجاب قائلاً :

اود لو انك تقدر أن تعيش على عير الأرض ،  
تكتفى بالنور كنباتات الهواء .  
غير انك مضطر أن تقتل لتعيش ، وان تسرق المولود  
الصغير من حضن امه مختطفاً حليبها لتبريد ظمائك ،  
لذلك فليكن عملك مظهرًا من مظاهر العبادة .  
ولتكن مائدتك مذبجاً تقربُ عليه التقادمُ النقية  
الطاهرة من الحقول والسهول ضحيةً لما هو أكثر منها نقاوةً  
فى اعماق الانسان .



واذا ذبحت حيواناً فقل له فى قلبك ،  
« ان القوة التى امرت بذبحك ، ستدبحنى نظيرك ،

« وعند ما تحين ساعتى ساحتق مثلك .  
« لان الشريعة التى اسلمتك الى يدى ، ستسلمنى الى  
يدى من هو اقوى منى .  
« وليس دمك ودمى سوى عصارة قد أعدت منذ  
الأزل غذاء لشجرة السماء . »



« واذا نهست تفاحة ، باسنانك ، فقل لها فى قلبك ،  
« ان بزورك ستعيش فى جسدى ،  
« والبراعم التى ستخرج منها فى الغد ستزهر فى قلبى ،  
« وسيتصاعد عيرك مع انفاسى ،  
« وسأفرح معك فى جميع الفصول . »



« واذا قطفت العنب من كرومك فى ايام الخريف ،  
« وحملته الى المعصرة ، فقل له فى قلبك ،  
« انا بكرمة مثلك ، وستجمع اثمارى وتحمل الى المعصرة ،

« وسيضعونني كالخمر الجديدة في زقاق جديدة . »  
وعند ما تستقى الخمر من زقاقها في أيام الشتاء ، أنشد  
في قلبك انشودة لكل كأس تشربها ،  
وليكن لك من أناشيدك أجمل التذكريات لأيام  
الحريف والكرمة والمعصرة .

ثم جاء اليه فلاح<sup>ه</sup> وقال له<sup>ه</sup> ، هات حدثنا عن العمل .  
فاجاب قائلاً :

انكم تشتغلون لكي تجاروا الارض ونفس الارض  
في سيرها .

لان الكسول غريب<sup>ه</sup> عن فصول الأرض ، وهائم<sup>ه</sup>  
لايسير في موكب الحياة ، السائرة بعظمة وجلال في فضاء  
اللانهاية الى غير المتناهي .



فاذا اشتغلت فما انت سوى مزمارة تختلج في قلبك  
مناجاة الايام فتتحول الى موسيقى خالدة .

ومن منكم يودّ ان يكون قصبةً خرساء صماء ، وجميع  
ما حولها يترنم معاً بانغام متفقة ؟

\* \*

قد طالما أخبرتم ان العمل لعنة ، والشغل نكبة ومصيبة .  
أما انا فاقول لكم انكم بالعمل تحقّقون جزءاً من حلم  
الارض البعيد ، جزءاً أُخصّص لكم عند ميلاد ذلك الحلم ،  
فاذا واضبتم على العمل النافع تفتحون قلوبكم بالحقيقة  
لمحبة الحياة .

لأنّ من احب الحياة بالعمل النافع تفتح له الحياة اعماقها ،  
وتدنيه من أبعد اسرارها .

\* \*

ولكن اذا كنتم وأنتم في الآلام تدعون الولادة  
كآبة ، ودعامة الجسد لعنة مكتوبة على جباهكم ، فاني  
الحق أقول لكم أنه ما من شيء يستطيع أن يمحو هذه  
الكتابة ويغسل جباهكم من آثارها سوى سعيكم وجهادكم .

\* \*

وقد ورثتم عن جدودكم القول إن الحياة ظلمة ، فرحتم  
في عهد مشقتكم ترددون ما قاله قبلكم جدودكم المزعجون .  
فالحق أقول لكم إن الحياة تكون بالحقبة ظلمة حالكة  
إذا لم ترافقها الحركة .

الحركة تكون عمياء لا بركة فيها إن لم ترافقها المعرفة ،  
والمعرفة تكون عقيمة سقيمة إن لم يرافقها العمل ،  
والعمل يكون باطلاً وبلا ثمر إن لم يقترب بالمحبة ، لأنكم  
إذا اشتغلتم بمحبة فانما ترتبطون أنفسكم وأفرادكم بعضها ببعض ،  
وترتبطون كل واحد منكم بربه .



وما هو العمل المقرون بالمحبة ؟  
هو أن تحوّل الرداء بخيوط مسحوبة من نسيج قلبك  
مفكراً أن حبيبك سيرتدي ذلك الرداء .  
هو أن تبني البيت بحجارة مقطوعة من مقلع حنانك  
واخلاصك مفكراً أن حبيبك سيقطن في ذلك البيت .

هو أن تبذر البذور بدقة وعناية ، وتجمع الحصاد بفرح  
ولذة كأنك تجمعهُ لكي يقدم على مائدة حبيبك .  
هو أن تضع في كل عمل من اعمالك نسمة من روحك ،  
وتثق بأن جميع الاموات الاطهار محيطون بك يراقبون  
ويتأملون .



وكثيراً ما كنت أسمعكم تناجون أنفسكم ، كأنكم  
في نوم عميق ، قائلين : « ان الذي يشتغل بنحت الرخام فيوجد  
مثالاً محسوساً لنفسه في الحجر الأصم هو أشرف من الفلاح  
الذي يحرث الأرض .

والذي يستعير من قوس قزح الواناً يحول بها قطعة  
النسيج الحفيرة الى صورة انسان ، هو أفضل من الاسكاف  
الذي يصنع الأحذية لأقدامنا .

ولكنني أقول لكم ، لا في نوم الليل ، بل في يقظة  
الظهيرة البالغة ، ان الريح لا تخاطب السنديانة الجبارة بلهجة  
أحلى من اللهجة التي تخاطب بها أحقرا عشاب الارض :

والعظيم العظيم ذلك الذى يحول هينة الريح الى انشودة  
تريدها محبته حلاوة وعذوبة .



أجل ، ان العمل هو الصورة الظاهرة للمحبة الكاملة .  
فاذا لم تقدر أن تشتغل بمحبة وكنت متضجراً ملولاً ،  
فلا جدر بك أن تترك عملك وتجلس على درجات الهيكل  
تلمس صدقة من العملة المشتغلين بفرح وطمانينة .

لأنك اذا خبزت خبزاً وأنت لا تجد لك لذة فى عملك ،  
فانما أنت تخبز خبزاً علقماً لا يشبع سوى نصف مجاعة الانسان  
واذا تدمرت وأنت تعصر عنبك ، فان تدمرك يدس  
لك سماً فى الحمرة المستقطرة من ذلك العصير .

وان انشدت أناشيد الملائكة ، ولم تحب أن تكون  
منشداً ، فانما أنت تصم آذان الناس بانغامك عن الاصغاء  
الى أناشيد الليل وأناشيد النهار .

ثم قالت له امرأة ، هات لنا شيئاً عن الفرح والترح

فاجاب وقال :

ان فرحكم هو ترحكم ساخرًا .

والبئر الواحدة التى تستقون منها ماء ضحككم قد طالما

ملئت بسخين دموعكم .

وهل فى الامكان ان يكون الحال على غير هذا المنوال ؟

فكلما أعمل وحش الحزن انيا به فى أجسادكم ، تضاعف

الفرح فى اعماق قلوبكم .

لانه ليست الكاس التى تحفظ خمرتكم هى نفس

الكأس التى أحرقت فى آتون الخراف قبل ان بلغت اليكم ؟

ام ليست القيثارة التى تزيد فى طمأنينة ارواحكم هى

نفس الخشب الذى قطع بالمدى والفؤوس ؟

فاذا فرحتم فتأملوا ملياً فى اعماق قلوبكم تجدوا أن

ما أحرزكم قبلاً يفرحكم الآن .

واذا احاطت بكم جيوش الكآبة فارجعوا ببصائرهم

ثانية الى اعماق قلوبكم وتاملوا جيداً ، تروا هنالك بالحقيقة

انكم تبكون لما كنتم تعتقدون أنه غاية مسراتكم على الارض .

\*  
\* \*

ويخيل الى ان فريقاً منكم يقول ، « ان الفرح اعظم من الترح ، » فيعارضه فريق آخر قائلاً ، « كلا ، بل الترح أعظم من الفرح . »

أما انا فالحق اقول لكم ، « انهما توأمان لا ينفصلان . يأتیان معاً ويذهبان معاً ، فاذا جلس احدهما منفرداً الى مائدتك ، فلا يغرب عن اذهانكم ان رفيقه يكون حينئذ مضطجعا على أسر تكم .

\*  
\* \*

اجل ، انكم بالحققة معلقون ككفتي الميزان بين ترحكم وفرحكم .

وانتم بينهما متحركون ابداً ، ولا تقف حركتكم الا اذا كنتم فارغين في اعماقكم

فاذا جاء امين خزائن الحياة يرفعكم لكي يزن ذهبه  
وفضته ، فلا ترتفع كفة فرحكم ولا ترجع كفة ترحكم ،  
بل تثبتان على حالة واحدة .

حينئذ دنا منه بناء وقال له هات حدثنا عن البيوت .  
فأجاب وقال :

ابن من خيالك مظلة في الصحراء قبل أن تبني بيتاً  
في داخل اسوار المدينة .

لأنه كما أن لك بيتاً مقبلاً في شفق حياتك ، كذلك  
للغريب الهائم فيك بيت كييتك .  
ان بيتك هو جسدك الأكبر .

ينمو في حرارة الشمس وينام في سكونة الليل : وكثيراً  
ما ترافق نومه الاحلام . أفلا يحلم بيتك ؟ وهل يترك الحلم  
المدينة ويسير الى الغابة أم الى راس التلة ؟

أوّه لو استطيع أن اجمع بيوتكم بيدي ، فابددها  
في الاحراج والرياض كما يبذر الزارع زرعه في الحقول .

أودّ لو كانت الاودية شوارع لكم ، ومسالك التلال  
الخضراء أزقة تطرقها أقدامكم عوضاً عن أزقتكم وشوارعكم  
القدرة، وياليتكم تنشدون بعضكم بعضاً بين الدوالي والكروم  
ثم تعودون حاملين عطر الارض في طيات أثوابكم .

ولكن هذه جميعها تمنيات لم تحن ساعتها بعد .

لأن آباءكم وجدودكم إذ خافوا عليكم الضياع والضلال  
جمعوكم معاً لكي تكونوا قريين بعضكم من بعض . وسيبقى  
هذا الخوف مجمعا لكم زمناً بعد . وستظل اسوار المدينة  
فاصلة مواقفكم عن حقولكم ، ولكن الى حين .



بربكم اخبروني ، يا ابناء أورفليس ، ماذا تملكون  
في هذه البيوت ؟ وأي شيء تحتفظون به في داخل هذه  
الابواب المرصدة ؟

هل عندكم السلام . وهو القوة الصامته التي تظهر ذاتكم  
الشديدة العزم المستترة في أعماقكم ؟

هل عندكم التذكارات ، وهى القناطر اللامعة التى تصل  
قننَ الفكر الانسانى بعضها ببعض ؟

هل عندكم الجمال ، الذين يرتفع بالقلب من مصنوعات  
الخشب والحجارة الى الجبل المقدس ؟

ربكم اخبرونى ، هل عندكم كل هذا فى بيوتكم ؟  
أم عندكم الرفاهية فقط ، والتحرق للرفاهية المزوج  
بالطمع ، الرفاهية التى تدخل البيت ضعفاً ، ثم لا تلبث ان  
تصير مضيئاً ، فسيداً عاتياً عنيفاً ؟

ثم تتحول الى رائض جبار يتقلد السوط يمينه والكُلاب  
يساره متخذاً رغباتكم الفضلى العوبة يتلهى بها .  
ومع أن بنان هذه الرفاهية حريىُّ الملمس فإن قلبها  
حديديٌّ صلد .

فهي تهدي من حدتكم لى تناموا ، ثم تقف امام  
أَسْرَتكم هازئةً بكم وبجلال اجسادكم .  
تضحك من حواسكم المدركة ، وتطرح بها بين

الاشواك كأنها أوعية سهلة الانكسار .

لان التحرق للرفاهية ينجر اهواء النفس في كبسها  
فيرديها قتيلة ، ثم يسير في جنازتها فاغراً شذقيه مرغياً مزبداً .

\*  
\* \*

اما انتم ، يا ابناء الفضاء ، العائشين في الراحة والنعيم  
وغير المستريحين ، فانكم لن تؤخذوا بالاشراك ولن يقدر  
رائض على ترويضكم .

لأن بيتكم لن يكون مرساة ولكنه سيكون سارية .  
كلا ، ولن يكون غشاءً براقاً تُغطي به الجراح ، بل  
جفنًا تحفظ به العين .

وانتم لن تطووا اجنحتكم لكي تستطيعوا ان تدخلوا  
من الابواب ، ولن تحنوا رؤوسكم لثلا تنطح السقف ،  
كلا ، ولن تخشوا ان تتنمسا خوفاً من ان تقوض اساسات  
الجدران وتسقط على الارض .

اجل ، ولن تقطنوا في القبور التي بناها ابناء الموت  
لابناء الحياة .

ومع كل ما يزين منازلكم من الجلال والجمال فانها لن  
تستطيع ان تحتفظ بسرکم او ان تؤاوی حنینکم :  
لان غير المحدود فيکم يقطن في منزل السماء ، الذي  
بوابته سحابة الصباح ونوافذه سكون الليل وأناشيده .  
ثم قال له الحائك ، هات حدثنا عن الثياب .  
فاجاب قائلاً :

ان ثيابکم تحجب الكثير من جمالکم ، ولكنها لاتستر  
غير الجميل .

ومع انکم تتشدون بثيابکم حرية التستر والانفراد ،  
فانها تقيدکم وتستعبدکم .

ويا ليت في وسعکم ان تستقبلوا الشمس والريح بثياب  
بشرتکم عوضاً عن ثياب مصانعکم ،  
لان انفاث الحياة في أشعة الشمس ، ويد الحياة تسير  
مع مجارى الرياح .

يقول بعض منكم ، « ان الريح الشمالية دوز غيرها ،  
قد حاكث الثياب التي تلبسها . »

وانا اقول لكم ، نعم ، ان الريح الشمالية قد فعلت ذلك ،  
ولكن العار كان نولاً لها ، ولدونة العضلات كانت لها خيطاً .  
وعند ما فرغت من عملها ضحكت منكم وهي تعصف  
في قلب الغاب .

ولكن لا يغرب عن اذهانكم ان الحشمة هي ترسٌ منيعٌ  
متين للوقاية من عيون المدنسين .

فاذا زال المدنسون من الوجود ، أفلا تصير الحشمة  
قيداً للفكر وتلويثاً له في حماة العبودية ؟

لذلك ضعوا نصب عيونكم ان الارض تبتهجُ بملامسة  
أقدامكم العارية ، والرياح تتوق الى ملاعبة شعورك المسترسلة .  
ثم دنا منه تاجرٌ وقال له ، هات حدثنا عن البيع  
والشراء .

فاجاب وقال :

ان الارض تقدم لكم ثمارها ، ولو عرفتم كيف تملأون  
أيديكم من خيراتها لما خبَرْتُمْ طعم الحاجة في حياتكم .  
لانكم بغير مبادلة عطايا الارض لن تجدوا وفراً من  
الرزق ولن يشبع جشعكم .  
فيجدر بكم أن تنموا هذه المقايضة بروح المحبة والعدالة ،  
والافانها تؤدي بالبعض منكم الى الشراهة وبغيرهم الى الطمع  
والجماعة .



واذا ذهبتم الى ساحة المدينة ايها الدائبون في خدمة  
البحر والحقول والكروم فاجتمعوا بالحاكة والخرافين وجامعي  
الحنوط والطيوب ، —

واضرعوا في تلك الساعة الى الروح المتسلطة على الارض ،  
ان تحلّ عليكم وتبارك مقاييسكم وموازينكم التي تُعينون بها  
مقدار ما تجرى عليه مقايضاتكم .

ولا تأذنوا لذوى الايدي العقيمة من ذوى البطالة ان

يَشْتَرِكُوا فِي مَعَامِلَاتِكُمْ ، لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ لَهُمْ يَتَجَرَّوْنَ بِهِ سِوَى  
أَقْوَالِهِمُ الَّتِي يَبِيعُونَهَا لَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ .  
بَلْ قُولُوا لِمِثَالِ هَؤُلَاءِ ،

« تَعَالَوْا مَعَنَا إِلَى الْحَقْلِ ، أَوْ فَادِّهَبُوا مَعَ أَوْلَادِنَا إِلَى  
الْبَحْرِ وَأَلْقُوا هُنَاكَ شِبَاكُمْ ،  
لِأَنَّ الْأَرْضَ وَالْبَحْرَ يَجُودَانِ عَلَيْكُمْ ، مَتَى عَمَلْتُمْ ، كَمَا يَجُودَانِ  
عَلَيْنَا . »



وَأِنْ جَاءَكُمْ الْمَغْنُونُونَ وَالرَّاقِصُونَ وَالْعَازِفُونَ ، —  
فَاشْتَرُوا مِنْ عَطَايَاهُمْ وَلَا تَرْفُضُوهُمْ .  
لَأَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ الْأَثْمَارَ وَالْمَطُورَ نَظِيرَكُمْ ، وَمَعَ أَنْ  
مَا يَقْدِمُونَهُ لَكُمْ مُصْنُوعٌ مِنْ مَادَّةِ الْأَحْلَامِ فَإِنَّهُ أَجَلُ كَسَاءٍ  
وَأَفْضَلُ غِذَاءٍ لِنَفْسِكُمْ .



وقبل ان تبحروا ساحة المدينة انظروا ألا ينصرف  
احدٌ منها فارغ اليدين .

لان الروح السيدة في الارض لا تنام بطمأنينة وسلام  
على تموجات الرياح حتى تشاهد بعينها ان الصغير فيكم ، قد  
نال كالكبير بينكم ، كل ما هو في حاجة اليه .

حينئذ وقف احد قضاة المدينة وقال له ، هات لنا خطبة  
في الجرائم والعقوبات .  
فاجاب وقال :

عند ما تسير ارواحكم هائمة فوق الرياح ،  
وتمسون منفردين ، ليس لكم من يقيم طوارىء  
السوء ،

حينئذ تقترفون الاثم ضد غيركم وضد أنفسكم  
ولاجل ذلك الاثم الذي تقترفونه يجب ان تقرر عوا  
برهةً وتنتظروا على بوابة القدوس .





هان ذاتكم الالهية ببحر عظيم ،  
كانت تقية منذ الازل وستظل تقية الى آخر الدهور .  
وهي كالاثير لا ترفع الا ذوى الاجنحة .  
أجل ، ان ذاتكم الالهية كالشمس ،  
لا تعرف طرق المناجذ<sup>(١)</sup> ، ولا تعباً بأوکار الأفاعي .  
غير انها لا تقطن وحيدة في كيانكم .  
لان كثيراً منكم لا يزال بشراً ، وكثيراً غيره لم يصير  
بشراً بعد ، بل هو مسخ لا صورة له يسير غافلاً في الضباب  
وهو ينشد عهد يقطته .  
فلا أود أن احدثكم الآن الا عن هذا الانسان فيكم .  
لان هذا الانسان — دون ذاتكم الالهية ودون المسخ  
الهائم في الضباب — ، هو الذى يعرف الجرائم والعقوبات  
على الجرائم في كيانكم .



قد طالما سمعتكم تتخاطبون فيما بينكم عن يقترف

(١) مناجذ جمع خلد من غير لفظه

أثماً كأنه ليس منكم ، بل غريب عنكم ودخيل فيما بينكم  
ولكننى الحق أقول لكم ، كما ان القديس والبار  
لا يستطيعان ان يتساميا فوق الذات الرفيعة التى فى كل منكم ،  
هكذا الشرير والضعيف لا يستطيعان ان ينحدرا الى  
أدنى من الذات الدنيئة التى فى كل واحد منكم .

وكما ان ورقة الشجر الصغيرة لا تستطيع ان تحول لونها  
من الخضرة الى الصفرة الا بارادة الشجرة ومعرفتها الكامنة  
فى اعماقها ،

هكذا لا يستطيع فاعل السوء بينكم ان يقترب أثماً  
بدون ارادتكم الخفية ومعرفتكم التى فى قلوبكم .  
فانكم تسيرون معاً فى موكب واحد الى ذاتكم  
الالهية .

أنتم الطريق وأنتم المطرقون .  
فاذا عثر احدٌ منكم فانما تكون عثرته عبرةً للقادمين  
وراءه فيجتنبون الحجر الذى عثر به .

اجل ، وتكون عشرةً توينحاً للذين يسرون أمامه  
باقدام سريعة ثابتة لانهم لم ينقلوا حجر العثار من طريقه .

\*  
\* \*

واليكم يا ابناء اورفليس هذه الكلمة التي ، وان حلت  
ثقيلة على قلوبكم ، فهي الحقيقة بعينها :  
ان القتل ليس بريئاً من جريمة القتل ،  
وليس المسروق بلالوم في سرقة ،  
لا يستطيع البار ان يتبرأ من اعمال الشرير ،  
ولا الطاهر النقي اليدين برىء الذمة من قذارة المدنسين .  
كثيراً ما يذهب المجرم ضحية لمن وقع عليه جرمه ،  
كما يغلب ان يحمل المحكوم عليه الاثقال التي كان يجب  
ان يحملها الا برياء وغير المحكومين .

لذلك لا تستطيعون ان تضعوا حداً يفصل بين الاشرار  
والصالحين او الابرياء والمذنبين ،

لانهم يقفون معاً أمام وجه الشمس ، كما ان الخيط

الايض والخيط الاسود يُنسجان معاً في نولٍ واحد .  
فاذا انقطع الخيط الاسود ، ينظر الحائك الى النسيج  
باسره . ثم يرجع الى نوله يفحصه وينظفه .



لذلك اذا جاء أحدكم بالزوجة الخائنة الى المحاكمة ،  
فليزن أولاً قلب زوجها بالموازين ، وليقس نفسه بالمقاييس .  
وكل من شاء ان يلطم المجرم يمينه يجدر به أولاً ان  
ينظر ببصيرة ذهنه الى روح من أوقع الجرم عليه .  
وان رغب احدكم منكم في ان يضع الفأس على أصل  
الشجرة الشريرة باسم العدالة ، فلينظر أولاً الى اعماق  
جذورها ،

وهو لا شك واجد ان جذور الشجرة الشريرة وجذور  
الصالحة ، المثمرة وغير المثمرة ، كلها مشتبكة معاً في قلب  
الأرض الصامت .

أما انتم ايها القضاة الذين يريدون ان يكونوا ابراراً ،

اي نوع من الاحكام تصدرون على الرجل الامين بجسده  
السارق بروحه ؟

أم أي عقاب تنزلون بذلك الذي يقتل الجسد مرة  
ولكن الناس يقتلون روحه ألف مرة ؟

وكيف تطاردون الرجل الذي مع انه خداع ظالم  
بأعماله ، فهو موجه القلب ، ذليل ، مهان بروحه ؟



اجل ، كيف تستطيعون ان تعاقبوا الذين لهم من  
توبيخ ضائرهم ، وهو اعظم من جرائمهم ، أكبر قصاص على  
الارض ؟

ليس توبيخ الضمير هو نفسه العدالة التي تتوخاها  
الشريعة التي تتظاهرون بخدمتها ؟

فانتم لا تستطيعون ان تسكبوا بلسم توبيخ الضمير  
في قلوب الابرياء ، كما انكم لا تقدرون ان تنزعوه من قلوب  
الاشقياء .

فهو يأتى لذاته فى ساعة من الليل لا تنتظرها ، داعياً  
الناس الى النهوض من غفلتهم ، والتأمل فى حياتهم وما فيها  
من التعديات والمخالفات .

وانتم ، ايها الراغبون فى سبر غور العدالة ، كيف  
تقدرون ان تدركوا كنهها ان لم تنظروا الى جميع الاعمال بعين  
اليقظة فى النور الكامل ؟

فى مثل هذا النور تعرفون ان الرجل المنتصب والرجل  
الساقط على الارض هما بالحقيقة رجل واحد واقف فى الشفق  
بين ليل ذاته المسوخة ونهار ذاته الالهية ،

وان حجر الزاوية فى الهيكل ليس باعظم من الحجر الذى  
فى أسفل اساساته .

ثم قال له مُشْتَرِع ، وماذا تعتقد بشرائعنا أيها المعلم ؟  
فأجاب قائلاً :

انكم تستلذون أن تضعوا شرائع لا أنفسكم  
ييد أنكم تستلذون بالأكثر أن تكسروها وتعدوا  
فرائضها .

لذلك أنتم كالآء ولاد الذين يلعبون على الشاطىء —  
يبنون أبراجاً عظيمة من الرمل بصبر وثبات ، ثم لا يلبثون  
أن يهدموها ضاحكين صاخين  
فعند ماتبنون أبراجكم الرملية ، يأتى البحر برمال  
جديدة إلى الشاطىء .

وعند ما تهدمون أبراجكم يضحك البحر منكم فى نفسه  
لأن البحر يضحك من الأبرياء أبداً .



ولكن ماذا أقول فى من ليست الحياة بجرأ فى عقيدتهم  
بل ليست الشرائع التى تسنها حكمة الانسان البالغة أبراجاً  
من الرمال فحسب .

أولئك الذين يحسبون أن الحياة صخرة صلبة ؛ وأن  
الشرعة ازميل<sup>٣</sup> حاد<sup>٤</sup> يأخذونه<sup>٥</sup> بأيديهم لكى يفتحوا هذه  
الصخرة على صورتهم ومثاهم ؟

وماذا أقول فى المقعدين الذين يكرهون الراقصين ؟

وفي الثور الذي يحب نيره<sup>١</sup> ويتهم الوعل والابل والظبي  
أنها حيوانات متمرده ناشزة ؟  
وفي الأفى العتيقة الأيام التى لاتستطيع أن تخلع  
جلدها ، ولذلك تبهرى متهمة جميع الحيوانات بالعرى وقلة  
الحياء ؟

وفي ذلك الذى يسبق غيره<sup>٢</sup> إلى وليمة العرس ؛ وعندما  
يملاً جوفه<sup>٣</sup> من الأطعمة ويبلغ حده<sup>٤</sup> من النهم والشرهة  
يترك الوليمة ويذهب فى طريقه قائلاً ان جميع الولايم مخالقات  
للناموس وجميع الذين يجتمعون إليها متعدو<sup>٥</sup> الشريعة ؟



ماذا أقول فى أمثال هؤلاء ؟ إنهم كجميع الناس يققون  
فى أشعة الشمس ، ولكنهم يؤكئون الشمس ظهورهم ؟  
فهم لذلك لا ينظرون سوى ظلالهم ، وظلالهم هى  
عند التحقيق شرائعهم المقدسة .

وهل الشمس فى اعتقادهم سوى منشأ الظلال ؟

وهل اعترفهم بالشريعة سوى أنهم ينحنون ويطأطئون  
رؤوسهم لكي يستقصوا ظلالهم على الأرض؟

أما أنتم ، الذين يمشون وهم يحدقون الشمس بأجفان  
غير مرتعشة ، فهل في الأرض من صورة تستطيع أن  
تستوقفكم هنيهة ؟

وأنتم ، المسافرين مع الريح ، أية صفحة من الصفحات  
الدالة على مجارى الرياح تقدر أن تقودكم في مسالككم ؟  
وماهى الشريعة البشرية التى تقيدكم إذا كنتم لم تحطوا  
نيركم على باب سجن من سجون الانسان .

وأية شرائع ترهبون إذا كنتم ترقصون ولكنكم  
لا تغترون بقيد من قيود العالم الحديدية ؟

ومن هو الرجل الذى يستطيع أن يأتى بكم إلى المحاكمة  
إذا مزقتم أثوابكم ولكنكم لم تضعوها فى طريق أحد  
من الناس ؟

أجل يا أبناء أورفليس ، انكم تستطيعون أن تخدموا  
صوت الطبل ، وتحلوا أوتار القيثارة ، ولكن من من  
أبناء الانسان يستطيع أن يتمتع بقبرة السماء عن الغناء ؟  
ثم قال له خطيب<sup>هـ</sup> ، هات حدثنا عن الحرية ؟  
فأجاب وقال :

قد طالما رأيتم ساجدين على ركبكم أمام أبواب  
المدينة والى جوانب المواقد تعبدون حريتكم  
وأنتم بذلك أشبه بالعبيد الذين يتذللون أمام سيدهم  
العسوف الجبار يمدحونه وينشدون له وهو يعمل السيف  
فى رقابهم .

نعم ، وفى غابة الهيكل ، وظل القلعة ، كثيراً ما رأيت<sup>هـ</sup>  
أشدكم حرية يحمل حريته<sup>هـ</sup> كنير ثقيل لعنقه وغل متين ليديه  
ورجليه .

رأيت كل ذلك فذاب قلبي فى أعماق صدرى ، ونزفت  
دماؤه ، لأنكم لا تستطيعون أن تصيروا أحراراً حتى تتحول

رغبتكم في السعى وراء الحرية الى سلاح تتسلحون به ،  
وتنقطعوا عن التحدث بالحرية كغايتهكم ومحبتكم .



انكم تصيرون أحراراً بالحقيقة اذا لم تكن أيامكم بلا  
عمل تعملونه ولياليكم بلا حاجة تفكرون بها ، أو كآبة  
تتألمون لذكرها ،

بل تكونون أحراراً عند ما تنطق هموم الحياة وأعمالها  
أحقاءكم بمنطقة الجهاد والعمل ، وتثقل كاهلكم بالمصاعب  
والمصائب ولكم تهضون من تحت أثقالها عراة  
طليقين .

لأنكم كيف تستطيعون أن ترتفعوا الى ما فوق  
أيامكم ولياليكم اذا لم تحطوا بالسلاسل التي أنتم أنفسكم  
في فجر ادراككم قيدتم بهاسعة ظهركم الحرية ؟  
ألا ان ما تبسمونه حرية انما هو بالحقيقة أشد هذه

السلاسل قوة ، وان كانت حلقاته تلمع في نور الشمس وتخطف  
أبصاركم .



وماذا يجدر بكم طرحه عنكم لكي تصيروا أحراراً  
سوى كسر صغيرة رثة في ذاتكم البالية ؟  
فان كانت هذه الكسر شريعة جائزة وجب نسخها ،  
لأنها شريعة سطرتها يمينكم وحفرتها على جبينكم .  
يبدأ نكم لا تستطيعون أن تمحوها عن جباهكم بأحراق  
كتب الشريعة التي في دواوينكم ؛ كلا : ، ولا يتم لكم  
ذلك بغسل جباه قضائكم . ولو سكبتم عليها كل ما في  
البحار من المياه

وان كانت طاغية تودون خلعه عن عرشه ، فانظروا  
أولاً ان عرشه القائم في أعماقكم قد تهدم .  
لأنه كيف يستطيع طاغية أن يحكم الأحرار

المفتخرين ، ما لم يكن الطغيان أساساً لحريتهم والعار قاعدة  
لكبريائهم؟

وان كانت هما ترغبون في التخلص منه فان ذلك الهم  
انما أنتم اخترتموه ولم يضعه أحدٌ عليكم  
وان كانت خوفاً تريدون طردهُ عنكم ، فان جرثومة  
هذا الخوف مغروسة في صميم قلوبكم وليست في يدي مَنْ  
تخافون .



الحق أقول لكم ، أن جميع الأشياء تتحرك في كياناتكم  
متعاقبة على الدوام عنافاً نصفياً . كل ما تشتهون وما تخافون ،  
ما تعشقون وما تستكرهون ، ما تسعون وراءه وما  
تهربون منه .

جميع هذه الرغبات تتحرك فيكم كالأنوار والظلال  
فاذا اضمحل الظل ولم يبق له من أثر ، أمسى النور  
المتلألئ ظلاً لنور آخر سواه

وهكذا الحال في حريتكم ، إذا حلت قيودها  
أمست هي نفسها قيداً الحرية أعظم منها .  
ثم طلبت اليه العرافة ثانية قائلة ، هات حدثنا عن العقل  
والهوى .

فأجاب وقال :

كثيراً ما تكون نفوسكم ميداناً تثير فيه عقولكم  
ومداركم حرباً عواناً على أهوائكم وشهواتكم .  
وأنتي أود أن أكون صانع سلام في نفوسكم ،  
فأحول ما فيكم من تنافر وخصام إلى وحدة وسلام .  
ولكن أنى يكون لي ذلك ، إذا لم تصيروا أنتم صانعي  
سلام لنفوسكم ومحبين جميع عناصركم على السواء ؟

\*  
\* \*

ان العقل والهوى هما سكان<sup>(١)</sup> النفس وشراعيها وهي  
سائرة في بحر العالم .

---

(١) سكان السفينة ما يعرف بالدفة

فاذا انكسر السُّكَّانُ أو تمزق الشراع فان سفينة  
النفس لا تستطيع ان تتابع سيرها ، بل ترغم على ملاطمة  
الامواج يئمة ويسرة حتى تقذف بهم الى مكان امين تحفظون  
به في وسط البحر .

لان العقل اذا استقل بالسلطان على الجسد قيد اهواءه ،  
ولكن الاهواء اذا لم يرافقها العقل كانت لهيباً يتأجج ليثني  
نفسه .

فاجعل نفسك تسمو بعقلك الى مستوى اهوائك .  
وحينئذ ترى منها ، ما يطربك ويشرح لك صدرك .  
وليكن لك من عقلك دليلاً وقائداً لاهوائك لكي  
تغيش اهوائك في كل يوم بعد موتها وتهض كالغنقاء<sup>(١)</sup>  
متسامية فوق رمادها .

---

(١) الغنقاء مؤنث اعنق ، وهو طائر معروف باسمه مجهول بجسمه .  
وفي الخرافات المصرية أنه طائر مقدس كان يأتي من بلاد العرب مرة  
في كل سنة الى هيليو بولس فيحرق نفسه على المذبح ثم لا يلبث ان ينهض  
من وسط الرماد المحترق حياً جميلاً كما كان . ولذلك كان عندهم رمزاً  
الى الخلود

المرجم

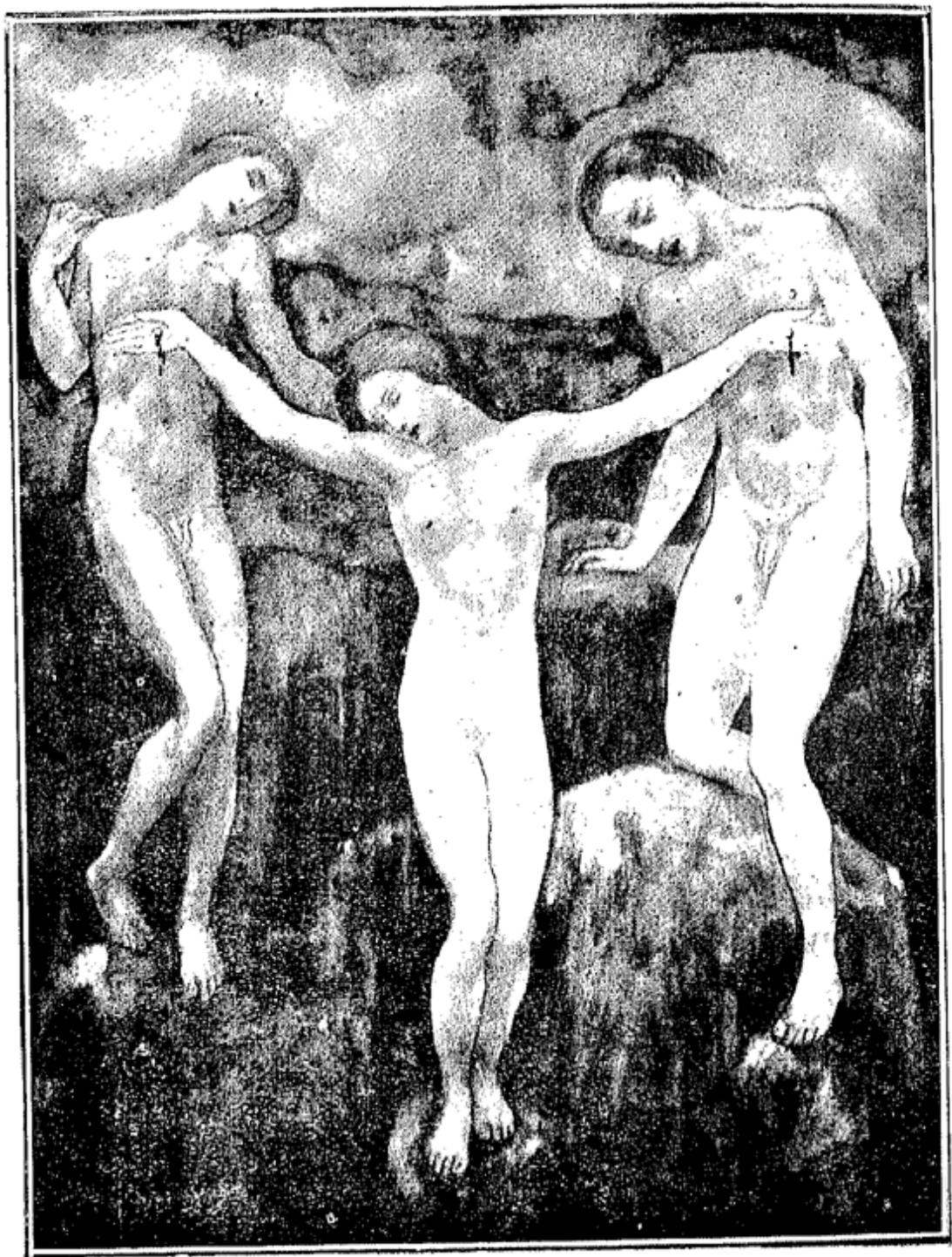
\*  
\* \*

وارغب اليكم ان تمنوا بالعقل والهوى عنايتكم بطيفين  
عزيزين عليكم.

فانكم ، ولا شك ، لا تكرمون الواحد اكثر من  
الثاني ، لان الذي يعتنى بالواحد ويهمل الآخر يخسر محبة  
الاثنين وثقتها .

\*  
\* \*

واذا جلستم في ظلال الحور الوارفة ، بين التلال الجميلة ،  
تشاطرون الحقول والروج البعيدة سلامها وسكينتها وصفاءها ،  
— فقولوا حينئذ في قلوبكم ، « ان الله يستريح في العقل . »  
... وعند ما تعصف العاصفة ، وترزعع الرياح أصول  
الاشجار في الاحراج ، وتعلن الرعود والبروق عظمة  
السيارات ، — فقولوا حينئذ في اعماق قلوبكم متهيئين  
خاشعين ، « ان الله يتحرك في الاهواء . »



1 77 isino



وما دمتُم نَسمةً من روح الله ، وورقة في حرجه ، فانتم  
ايضاً يجب ان تستريحوا في العقل وتتحركوا في الالهواء  
ثم نهضت من بين الجمع امرأة وقالت له ، هات حدثنا  
عن الألم .

فاجاب وقال :

ان ما تشعرون به من الألم هو انكسار القشرة التي  
تغلّف ادراككم .

وكما ان القشرة الصلدة التي تحجب الثمرة يجب ان تتحطم  
حتى يبرز قلبها من ظلمة الارض الى نور الشمس ،  
هكذا انتم ايضاً يجب ان تحطم الآلام قبشوركم قبل ان  
تعرفوا معنى الحياة .

لانكم لو استطعتم ان تعيروا عجائب حياتكم اليومية  
حقها من التأمل والدهشة ، لما كنتم ترون آلامكم اقل غرابة  
من افراحكم ،

بل كنتم تقبلون فصول قلوبكم ، كما قد قبلتم في غابر

حياتكم الفصول التي مرت في حقولكم .  
وكنتم ترقبون وتتأملون بهدوء وسكون في شتاء  
احزانكم وآلامكم .



أنتم تُخبرون في الكثير من آلامكم .  
وهذا الكثير من آلامكم هو الجرعة الشديدة المرارة  
التي بواسطتها يشفى الطبيب الحكيم الساهر في أعماقكم  
أسقام نفوسكم المريضة .  
لذلك آمنوا بطبيب نفوسكم ، وثقوا بما يصفه لكم  
من الدواء الشافي ، وتناولوا جرعة البرة بسكينة وطمأنينة .  
لأن يمينه ، وإن بدت لكم ثقيلة قاسية ، فهي مقودة  
بمنى يمين غير المنظور اللطيفة ،  
والكأس التي يقدمها اليكم ، وإن أحرقت شفاهكم ،  
فهي مصنوعة من الطين الذي جبلته يدا الفخاري الأزلي  
بدموعه المقدسة .

ثم قال له رجلٌ ، هات حدثنا عن معرفة النفس .  
فأجاب قائلاً :

ان قلوبكم تعرف في السكينة أسرار الأيام والليالي ،  
ولكن آذانكم تتشوق لسماع صوت هذه المعرفة  
الهابطة على قلوبكم .

غير انكم تودون لو تعرفون بالألفاظ والعبارات  
ما تعرفونه بالأفكار والتأملات .

وتتوقون الى أن تلمسوا بأصابعكم جسد أحلامكم  
العارى .



وحسن انكم تتوقون الى جميع ذلك .:

فان الينبوع الكامن في أعماق نفوسكم سيتفجر يوماً ما  
ويجري منحدرًا الى البحر .

والكنز المطمور في أعماقكم غير المتناهية سينقبُ

في ساعة لا تعلمونها وتفتح أبوابه أمام عيونكم .  
ولكن حذار أن تأخذوا معكم موازينكم لكي تزنوا  
بها كنزكم غير المعروف .  
كلا ، ولا تسبروا غور معرفتكم بقياس محدود أو جبل  
مشدود .

لأن الذات بحر لا وزن ولا قياس له .



أجل ، ولا تقل في ذاتك ، « قد وجدت الحق » بل  
قل بالأحرى ، « قد وجدت حقاً »  
ولا تقل « قد وجدت طريق النفس » بل قل بالأولى  
« قد رأيت النفس تمشي على طريق »  
لأن النفس تمشي على جميع المسالك والطرق .  
النفس لا تمشي على جبل أو خيط ، كلا ، ولا هي  
تتمو كالقصبة .

النفس تطوى ذاتها ، كالْبَشْنين <sup>(١)</sup> ذى البتلات التى  
لا يحصى عديدها .

ثم قال له معلمه ، هات لنا كلمة فى التعليم .  
فقال :

ما من رجل يستطيع أن يعلن لكم شيئاً غير ما هو  
مستقر فى فخر معرفتكم وأنتم غافلون عنه .

أما المعلم الذى يسير فى ظل الهيكل محاطاً باتباعه  
ومريديه ، فهو لا يعطى شيئاً من حكمته ، بل انما يعطى من  
إيمانه وعطفه ومحبته .

لأنه إذا كان بالحقيقة حكماً فإنه لا يأمركم أن تدخلوا  
بيت حكمته ، بل يقودكم بالأحرى الى عتبة فكركم  
وحكمتكم .

فان الفلكي يستطيع أن يقص عليكم شيئاً من معرفته  
لنظام السماء ، ولكنه لا يقدر أن يعطيكم معرفته .

---

(١) البشنين نبات يقوم على ساق ولا ورق له . ويسميه المصريون  
عرائس النيل .

والموسيقى يستطيع أن ينشدكم أجمل ما في العالم من  
الأناشيد والأناغم ، ولكنه لا يستطيع أن يمنحكم الاذن  
التي تضبط النظام في النغم ولا الصوت الذي يوجد الألفة  
في الالحان .

والرياضي النابغ في ضبط الارقام يستطيع أن يوضح  
لكم عدد الموازين والمقاييس وخصائص كل منها ، ولكنه  
لا يستطيع أن يمنحكم معرفته ،

لأن الوحي الذي يهبط على رجل مآلا يعير جناحيه  
لغيره ،

وكما ان لكل منكم مقاما منفردا في معرفة الله اياه ،  
هكذا يجب عليه ان يكون منفردا في معرفته لله وفي ادراكه  
لاسرار الارض .

ثم قال له شاب ، هات حدثنا عن الصداقة :  
فاجاب وقال :

ان صديقك هو كفاية حاجاتك .

هو حقلك الذى تزرعه بالمحبة وتحصده بالشكر .  
هو مائدتك وموقدك .

لأنك تأتى اليه جائعاً ، وتسعى وراءه مستدقناً .



فاذا اوضح لك صديقك فكره فلا تخش ان تصرح  
بما فى فكرك من النقي او أن تحتفظ بما فى ذهنك من  
الايجاب .

واذا صمت صديقك ولم يتكلم فلا ينقطع قلبك عن  
الاصغاء الى صوت قلبه :

لان الصداقة لا تحتاج الى الالفاظ والعبارات فى انماء  
جميع الافكار والرغبات والتمنيات التى يشترك الاصدقاء  
بفرح عظيم فى قطف ثمارها اليانات .

وان فارقت صديقك ، فلا تحزن على فراقه :

لان ما تتعشقه فيه ، اكثر من كل شئ سواه ، ربما  
يكون فى حين غيابه اوضح فى عيني محبتك منه فى حين  
حضوره ،

لان الجبل يبدو للمتسلق له أكثر وضوحاً وكبراً من  
السهل البعيد .

ولا يكن لكم في الصداقة من غاية ترجونها غير ان  
تريدوا في عمق نفوسكم .

لان المحبة التي لارجاء لها ، سوى كشف الغطاء عن  
اسرارها ، ليست محبةً ، بل هي شبكة تلقى في بحر الحياة ولا  
تمسك الا غير النافع .



وليكن أفضل ما عندك لصديقك .

فان كان يجدر به أن يعرف ضرر حياتك ،  
فالا جدر بك ايضاً ان تظهر له مديها .

لانه ماذا ترجى من الصديق الذي تسمى اليه لتقضى  
معه ساعاتك المحدودة في هذا الوجود ؟

فاسع بالاحرى الى الصديق الذي يحى ايامك ولياليك .

لان له وحده قد أعطى ان يكمل حاجاتك ، لا لفرانك

ويبوستك .

وليكن ملاك الافراح والذات المتبادلة مرفوعاً فوق  
حلاوة الصداقة .

لان القلب يجد صباحه في الندى العالق بالصغيرات ،  
فينتفش ويستعيد قوته .

ثم قال له عالم ، هات حدثنا عن الكلام .  
فاجاب وقال :

انكم تتكلمون عند ما تؤصدونكم أبواب السلام  
مع افكاركم :

وعند ما تعجزون عن السكنى في وحدة قلوبكم ،  
تقطنون في شفاهكم ، والصوت يلهيكم ويسليكم .

وفي الكثير من كلامكم يكاد فكركم يقضى الماء وكآبة .

لان الفكر طائر من طيور الفضاء ، يبسط جناحيه  
في قفص الالفاظ ولكنه لا يستطيع ان يخلق طائراً .



ان بينكم قوماً يقصدون الثرثار المهذار ، ضجراً من  
الوحدة والافراد :

لان سكينته الوحدة تبسط أمام عيونهم صورة واضحة  
لذواتهم العارية يرتعدون لدى رؤيتها فيهربون منها .  
ومنكم الذين يتكلمون ، ولكنهم عن غير معرفة ،  
وبدون سابق قصد ، يظهرون حقيقة لا يدركونها هم انفسهم .  
ومنكم الذين أودع الحق قلوبهم ، ولكنهم يآبون  
ان يلبسوه حلة اللفظ

وفي أحضان هؤلاء تقطن الروح في هدوء وسكون .



فاذا رايت صديقك على جادة الطريق ، او جمعتك به  
ساحة المدينة ، فدع الروح التي فيك تحرك شفتيك وتدير  
لسانك .

أفسح المجال للصوت الذي في اعماق صوتك فيخاطب  
أذن أذنه .

لان نفسه تحتفظ بسر قلبك كما يتذكر فيه طعم الحمرية  
الطيبة ، وإن تنوسى لونها وتحطمت الكأس التي حملتها .

ثم قال له فلكي<sup>١</sup>، ايها المعلم ، ماذا تعتقد بالزمان ؟  
فاجابه قائلاً :

أنت تريد أن تقيس الزمان غير المحدود ، الذي لا قياس له .  
وتود ان تطبق سلوكك وتعين مسالك روحك على  
مقتضى الساعات والفصول .

بل انت تريد ان تجعل الزمان جدولاً تجلس الى حافته  
وتراقب انسجام مياهه وتصغى الى خريها .

\*  
\* \*

يبد ان غير المقيد فيك بالزمان يعرف حقيقة ان الحياة  
لا تعرف حدود الزمان ،

وأن: ليس امس سوى ذكرى اليوم ، وليس الغد  
سوى حلم اليوم .

وأن القوة التي تترنم وتأمل فيك لا تزال قاطنة ضمن  
حدود تلك الثانية الاولى التي فرقت الكواكب في الفضاء .  
وهل يبتكم رجل<sup>٢</sup> لا يشعر ان قوته على المحبة فائقة  
الحدود ؟

بل من هو الذى لا يشعر بتلك المحبة ، غير المحدودة ،  
المحصورة فى صميم كيانه ، ولا ينتقل من فكر محبة الى فكر  
محبة ، ومن أعمال محبة الى أعمال محبة غيرها ؟  
والزمان ، ليس الزمان ، كالمحبة ، لا ينقسم ولا يستقصى ؟

\*  
\* \*

ولكن اذا شئتم ان تقسموا الزمان الى فصول مختلفة  
فى افكاركم ، فاجعلوا كل فصل من فصوله يحيط بجميع  
الفصول الاخرى ،  
واجعلوا الحاضر يعانق الماضى بالتذكارات ، والمستقبل  
بالحنين والتشوقات .  
ثم قال له أحدُ شيوخ المدينة ، هات حدثنا عن الخير  
والشر .

فاجاب قائلاً :

اتنى استطيع ان اخبركم عن الخير ، لا الشر الذى فيكم .  
لانهُ اليبس الشر هو بعينه الخير المتألم لآلاماً مبرحة  
من تعطشه ومجاعته ؟

فانى الحق اقول لكم ، ان اخيرا اذا جاع سعى الى الطعام  
ولو فى الكهوف المظلمة ، وان عطش فانه يشرب حتى من  
المياه الراكدة المنتنة .



أنت صالح ، يا صاح ، اذا كنت واحداً مع ذاتك .  
واذا لم تك واحداً مع ذاتك فانت لست بالشرير .  
لان البيت المنقسم على ذاته ليس مغارة للصوفى ،  
ولكنه بيت منقسم على ذاته لا اكثر ولا اقل .  
والسفينة التى تضيع سكانها تهيم فى البحار بين الجزائر  
تحقق بها الاخطار من كل جهة ولكنها لا تفرق الى قعر البحر .



انت صالح ، يا صاح ، اذا جاهدت لكى تعطى الناس  
من ذاتك .

ولكنك لست بالشرير اذا سعيت وراء منفعة نفسك .  
لانك فى سعيك وراء منفعة نفسك تشبه جذر الشجرة

الذى يريق دموعه على الارض ثم يمتص الحليب من ثديها .  
الحق اقول لك ، ان الثمرة لاتستطيع ان تقول للجذر ،  
« كن مثلى ناضجاً ، جميلاً ، جواً اداً ، يبذل كل ما فيه لاجل  
غيره — »

لان العطاء حاجة من حاجات الثمرة لاتعيش بدونها ،  
كما ان الاخذ حاجة من حاجات الجذر لايحيي بغيرها .



انت صالح ، يا صاح ، اذا كنت تبلغ الى كمال يقظتك  
في خطابك ،

بيد انك لست بالشرير اذا نمت وكان لسانك يهذر  
من غير مرمى .

لأن الكلام ، وان كان مجلبة للثرات ، لابد ان يشدد  
لساناً ضعيفاً .



انت صالح ، يا صاح ، اذا كنت تسير الى محبتك ،  
واسخ العزم ، ثابت الخطى .

غير أنك لست بالشرير ، اذا كنت تمشى الى محبتك  
متلکئاً .

لان العرج انفسهم لا يسيرون الى الورا .  
ولكنك ، وانت صحيح القدم قوى الجسد ، انظر ألا  
تعرج امام العرج وانت تحسب ذلك رقة وظرفاً .

\*  
\* \*

أنت صالح بطرق عديدة يا صاح ، واذا لم تكن صالحاً  
فانك لست بالشرير ،

بل انت كسول متراخ .  
ويا ليت الأطباء تستطيع ان تعلم السلاحف البطيئة  
السرعة والرشاقة .

\*  
\* \*

اجل ، ان الخير الذى فيك انما هو فى حنينك الى ذاتك  
الجبارة : وهذا الحنين فيكم جميعكم .

غير انه يشبه في البعض منكم سيلاً جارفاً يجري بقوة  
منحدراً الى البحر ، فيحمل معه اسرار التلال والودية  
واناشيد الاحراج والجنان .

وهو في غيرهم اشبه بمجدول صغير يسير في منبسط من  
الارض يريق ماءه في الزوايا والمنعرجات ولذلك يطول به  
الزمان قبل ان يصل الى الشاطئ .

ولكن لا يقل ذو الحنين الكثير الى ذى الحنين  
القليل ، « لماذا انت كسيح بطيء ؟ »

لان الصالح الصالح لا يسأل العراة ، « أين ثيابكم ؟ »  
ولا الغرباء ، « اين منازلكم ؟ »

ثم قالت له الكاهنة ، هات حدثنا عن الصلاة .

فاجاب وقال :

انك تصلين في ضيقتك وفي حاجتك :

ولكن حبذا لو انك تصلين في كمال فرحك ووفرة

خيراتك .



۸۲ *ixano*



وهل الصلاة غير اتساع ذاتك في الاثير الحى ؟  
فاذا كنت تتعزين في ان تسكبى كأس ظلمتك في  
الفضاء ، فانك ولا شك تفرحين ايضاً في ان تسكبى فيه  
بجر فؤادك .

واذا كنت لاتستطيعين ان تمسكى عن البكاء عند ما  
تدعوك نفسك الى الصلاة ، فالاجدر بنفسك ان تنخسك  
بمنخس حادٍ مرة بعد مرة ، على رغم الدموع المتساقطة على  
وجنتيك ، لكى تأتى الى الصلاة فرحةً باسمه .

واذا صليت ، فانت ترتفعين بروحك لكى تجتمعي  
في تلك الساعة بارواح المصلين ، الذين لاتستطيعين ان  
تجتمعي بهم بغير الصلاة .

لذلك فلتكن زيارتك لذلك الهيكل غير المنظور مدعاةً  
للقيام السماوى والشركة الروحية السعيدة .

لانك اذا دخلت الهيكل ولا غاية لك سوى السؤال  
فانك لن تنالى شيئاً :

وان دخلت الهيكل لكي تظهرى وفرة اتضاعك  
وخشوعك فانك لن تجدى رفعة :

بل ، لو جئت الهيكل وانت ترجين ان تلتسى خيراً  
لغيرك من الناس فانك لن تجابى الى سؤالك .  
لانه يكفيك ان تدخل الهيكل من غير ان يراك أحد .



لاستطيع أن أعلمك الصلاة بالالفاظ .  
لان الله لا يصنى الى كلماتك ما لم يضعها تعالى اسمه  
على شفتيك وينطق بها بلسانك .

ولا اقدر ان اعلمك صلاة البحار والاحراج والجبال .  
بيد انك ، وانت ابنة الجبال والاحراج والبحار ،  
تستطيعين ان تجدى هذه الصلاة محفورة على صفحات  
قلبك ،

فاذا أصغيت فى سكينة الليل سمعت الجبال والبحار  
والاحراج تصلى بهدوء وخشوع :

« ربنا والهنا ، يا ذاتنا المجنحة ،  
« اتنا بارادتك نُريد ،  
« وبرغبتك نرغب ونشتهي .  
« بقدرتك تحول لياalina ، وهي لك ، الى ايام هي لك  
ايضاً .

« اتنا لانستطيع ان نلتمس منك حاجةً ،  
« لانك تعرف حاجتنا قبل ان تولد في اعماقنا .  
« انت حاجتنا : وكلما زدنا من ذاتك زدنا من كل شيء .  
حينئذٍ دنا منه ناسك يزور المدينة مرةً في السنة ،  
وقال له ، هات حدثنا عن اللذة .  
فاجاب وقال :

اللذة انشودة الحرية ،  
ولكنها ليست حرية بذاتها .  
اللذة زهرة رغباتكم ،  
ولكنها ليست ثمرة لها .

اللذة عمق ينشد علواً ،  
ولكن لاهى بالعمق ولا هى بالعلو .  
اللذة جناحٌ قد أفلت من قفصه ،  
ولكنها ليست فضاءً حراً طليقاً .  
أجل ، ان اللذة بالحقيقة انشودة الحرية .  
وانه ليطربنى أن تترنموا بها فى اعماق قلوبكم : ولكنى  
لا آذن لكم ان تستساموا بقلوبكم للفناء .



ان فريقاً من احداثكم يسعون وراء اللذة سعيهم وراء  
كل شئ ، ولذلك يحكم عليهم بالقصاص والتأديب .  
أما انا فلا ادينهم ، ولا احكم عليهم . ولكنى اسألهم :  
أن يُفتشوا وينقبوا .  
لانهم سيجدون اللذة فى تفتيشهم ، ولكنهم لن يجدوها  
وحدها فقط :

فان لها سبع شقيقات ، احقرهن أوفر جلالاً منها .

وانتم ألم تسمعوا بذلك الرجل الذي كان يحفر الارض  
لكي يستخرج الجذور من أعماقها فوجد كنزاً عظيماً ؟



وفريق آخر من شيوخكم يتذكرون لذات شبابهم  
آسفين ، كأنما هي جرائم اقترفوها في اوقات السكر والجهالة .  
ولكن الأسف هو بالحقيقة غمامة تغمى الفكر ولا تؤدبه .  
ولذلك يجدر بهم ان يتذكروا لذاته بالحمد والثناء كما  
يتذكرون حصاد الصيف .

ولكن اذا كان الاسف يعزيهم فلا بأس ان يتعزوا به .



وهناك فريق ثالث ممن ليسوا بالاحداث لكي يجاهدوا  
مقتشين عن لذات جديدة ولا بالشيوخ لكي يتذكروا  
لذات شبابهم ،

ولكنهم لشدة خوفهم من عناء الجهاد في التفتيش

والالم في التذكارات يُعرضون عن جميع اللذات ، لئلا يهملوا  
الروح او يجدفوا عليها .

غير ان لهم من هذا الاعراض بعينه لذة لا تقسمهم .  
ولذلك فهم ايضاً يجدون كنزاً لذواتهم مع انهم يحفرون  
لاجل الجذور بايد مرتعشة .

ولكن هل لك ان تخبرني ، وانت الناسك الحكيم ،  
من هو الذي يستطيع ان يكدر على الروح صفوها ؟  
أيستطيع البلبل ان يعكر صفو سكينه الليل ، أم  
الحباحب نور السماء ؟

وهل يقدر لهيب نارك أو دخانها أن يثقل كاهل الريح ؟  
ام هل تعتقد أن الروح بركة هادئة وفي استطاعتك كلما  
خطر لك ان تزعج هدوءها بعصاك ؟



كلما انكرت على ذاتك التمتع بلذة ما تغلق يديك على  
تلك اللذة في مستودعات كيائك .

وَمَنْ يَدْرِى هَلْ تَعُودُ اللَّذَّةُ الَّتِي تَرْفُضُهَا الْيَوْمَ فَتَقْرُبُ  
عُودَتِكَ إِلَيْهَا فِي الْغَدِ ؟

لأن جسدك يعرف حاجاته الضرورية وميراثه الحقيقى ،  
فلا يستطيع احده ان يخدعه .

اجل ، ان جسدك هو قيثاره نفسك ،  
وانت وحدك تستطيع ان تخرج منها أنغاماً فنانة او  
أصواتاً مشوشة مضطربة .



ولعلك تسأل فى قلبك قائلاً ، « كيف نستطيع ان نميز  
بين الصالح والشرير من اللذات » ؟

فأذهب الى الحقول والبساتين وهناك تتعلم ان لذة  
النحلة قائمة فى امتصاص العسل من الزهرة ،

ولكن لذة الزهرة ايضاً تقوم بتقديم عسلها للنحلة .

والنحلة تعتقد ان الزهرة ينبوع الحياة ،

والزهرة تؤمن بان النحلة هى رسول المحبة المحيية ،

والنحلة والزهرة كلتاها تعتقدان ان اقتبال اللذة  
وتقديمها حاجتان لا بد منهما وافقتان لا غنى للحياة عنه .



اجل ، يا ابناء اورفليس ، كونوا في لذاتكم كالنحل  
والأزهار

ثم قال له شاعر<sup>ه</sup> ، هات لنا شيئاً عن الجمال .  
فجابه قائلًا :

أين تفتش عن الجمال ، وكيف تقدر ان تهتدى اليه  
مالم يكن هو نفسه طريقاً لك ودليلاً ؟  
وكيف تستطيع ان تتحدث عن الجمال مالم ينسج لك  
ثوباً لا ثقاً بخطابك ؟



فالخرين المتالم يقول ، « الجمال رقة ولطف ، وهو يمشى  
بيننا كالأم الفتية الحية من جلالها . »  
والغضوب يقول ، « كلا ، بل الجمال قوة وبطش ، فهو

كالعاصفة يهز الارض تحت اقدامنا والسماء فوق رؤوسنا . «  
والتعبُ الملولُ يقول ، « ان الجمال لطيف المناجاة يتكلم  
في ارواحنا ويتموج صوتهُ في سكون اذهانتنا كما يرتعش  
النور الضئيل خوفاً من الظل الظليل . »  
غير ان القلق المضطرب يقول ، « قد سمعنا الجمال  
يصيح باعلى صوته بين الجبال ،  
يرافق صوتهُ وقع الحوافر ، وخفقان الاجنحة وزجرة  
الاسود . »



وعند انتصاف الليل يقول حارس المدينة ، « سيزرغ  
الجمال مع الفجر من المشرق . »  
وعند الظهيرة يقول العمال وعابرو السبيل ، « قد راينا  
الجمال يطل على الارض من نوافذ المغرب . »



وفي الشتاء يقول جامعو الثلوج ، « سيأتي الجمال مع

الربيع وهو يقفز على التلال . «  
وفي الصيف يقول الحصادون ، « قد رأينا الجمال يرقص  
مع اوراق الخريف ، وشاهدنا كومة من الثلج على رأسه . »



كل هذا سمعتم تقولونه في الجمال ،  
غير انكم بالحقيقة لم تقولوا فيه كلمة ، وانما تحدثتم  
بحاجاتكم غير المكتملة ، والجمال ليس بالحاجة غير المكتملة بل  
هو انشغاف واقتتان .

اجل ، وليس الجمال فماً متعطشاً او يداً ممدودة ،  
بل هو قلب متلهب ، ونفس مفتونة مسحورة .  
وليس بالصورة التي ترغبون في رؤيتها أو الانشودة  
التي ترجون سماعها ،

بل هو صورة تبصرونها ولو اغمضتم عيونكم وانشودة  
تسمعونها ولو اغلقت آذانكم .

وليس بالعصارة الجارية في عروق الاشجار ، ولا

بالجنّاح المتعلّق في المخالب ،

بل هو بستان تزيّنهُ الازهار الى الابد ، وجوقة من  
الملائكة ترفرف باجنحتها الى منتهى الدهور .

\*  
\* \*

نعم ، يا ابناء اورفليس ، ان الجمال هو الحياة بعينها  
سافرةً عن وجهها الطاهر النقي .

ولكن انتم الحياة وانتم الحجاب .

والجمال هو الابدية تنظر الى ذاتها في مرآة .

ولكن انتم الابدية وانتم المرآة .

ثم دنا منه كاهنٌ شيخٌ وقال له ، هات حدثنا عن الدين .  
فاجاب قائلاً :

وهل تكلمت اليوم في موضوع آخر غير الدين ؟

أليس الدين كل ما في الحياة من الاعمال والتأملات ؟

أليس الدين كل ما في الحياة مما ليس هو بالعمل ولا

بالتأمل ، بل غرابة وعجب ينبعان من جداول النفس ابداً ،

وان عملت اليدان في نحت الحجارة او ادارة الانوال ؛  
مَنْ يستطيع ان يفصل ايمانه عن أعماله ، وعقيدته عن  
مهنته ؟

مَنْ يستطيع ان يبسط ساعات عمره امام عينيه ، قائلاً ،  
« هذه لله ، وهذه لي ، هذه لنفسى ، وهذه لجسدى ؟ »  
فان جميع ساعات الحياة اجنحة ترفرف في الفضاء منتقلة  
من ذات الى ذات .

وان من ينظر الى فضيلته نظرتة الى افضل حلة يلبسها  
قالا جدر به ان يسير بين الناس عارياً ،  
لان الريح والشمس لا تمزقان بشرته .  
وكل من يقيد سلوكه وتصرفه بقيود الفلسفة والتقليد  
انما يحبس طائر نفسه الغريد في قفص من حديد .  
لان انشودة الحرية لا يمكن ان تخرج من بين العوارض  
والقضبان .

وكل من يعتقد أنَّ العبادة نافذة يفتحها ثم يغلقها

فهو لم يبلغ بعدُ الى هيكل نفسه الذى نوافذه مفتوحة من  
الفجر الى الفجر .



ان حياتكم اليومية هي هيكلكم وهي دياتكم .  
نخذوا معكم كل مالكم عند ما تدخلون هيكلها .  
خذوا السكة والكور والمطرفة والطنبور ،  
وكل مالديكم من الآلات التى صنعتوها رغبة فى  
قضاء حاجاتكم او سعيًا وراء مسراتكم ولذاتكم  
لانكم لا تستطيعون ان ترتفعوا بتأملاتكم فوق أعمالكم ،  
ولا تقدرّون ان تنحدروا بتصرفاتكم الى أدنى من خياتكم .  
وليرافقكم جميع معارفكم من أبناء الانسان :  
لانكم لا تستطيعون فى عبادتكم ان تملقوا فوق آمالهم  
ولا أن تصعوا ذواتكم الى أحقر من يأسهم .

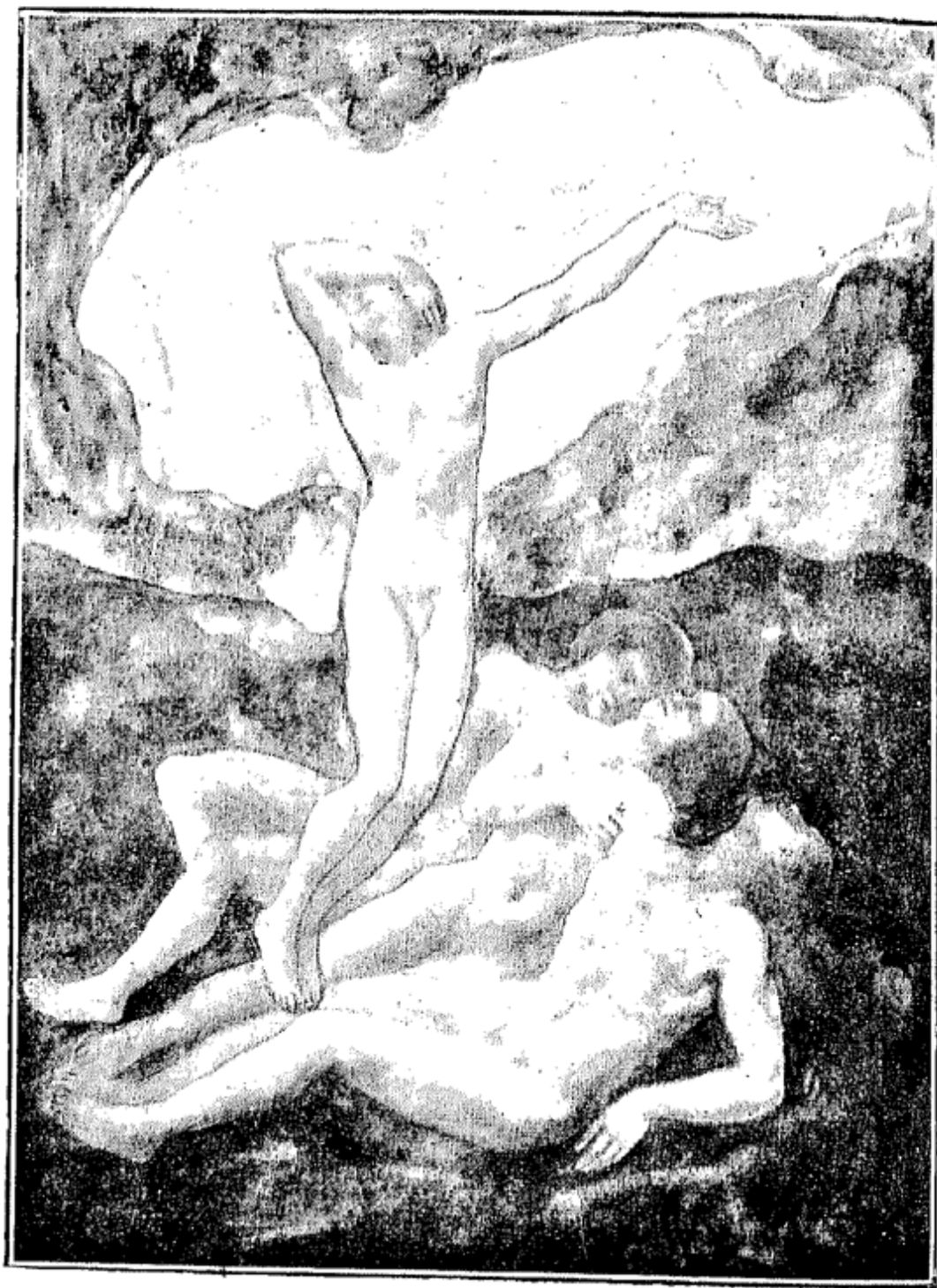


وان شئتم ان تعرفوا ربكم ، فلا تُعنوا بحل الاحاجى  
والالغاز .

بل تاملوا فيما حولكم تجدوهُ لاعباً مع اولادكم .  
وارفعوا انظاركم الى الفضاء الواسع تبصروهُ يمشى فى  
السحاب ، ويبسط ذراعيه فى البرق ، وينزل الى الارض مع  
الامطار .

تاملوا جيداً ، تروا ربكم يبتسم بشغور الازهار ، ثم  
ينهض ويحرك يديه بالاشجار .  
ثم قالت له المطرة ، نودّ ان تحدثنا الآن عن الموت .  
فقال لها :

انكم تريدون ان تعرفوا اسرار الموت ،  
ولكن كيف تجدونها ان لم تسعوا اليها فى قاب الحياة ؟  
لان البومة التى لا تفتح عينيها الا فى الظلمة ، البومة  
العمياء عن نور النهار ، لا تستطيع ان تنزع الحجاب عن اسرار  
النور .



97 1210



فاذا رغبتم بالحقيقة فى ان تنظروا روح الموت ، فافتحوا  
أبواب قلوبكم على مصاريحها لنهار الحياة .  
لان الحياة والموت واحدٌ ، كما ان النهر والبحر واحدٌ  
ايضاً .

\*  
\* \*

فى أعماق آمالكُم . ورغباتكم تنكئ معرفتكم الصامته  
لما وراء الحياة :  
وكما تحلم الحبوب الهاجعة تحت الثلوج بالربيع ، هكذا  
تحلم قلوبكم برييعها .  
لذلك فلتكن ثقكم عظيمةً بالأحلام ، لان بوابة الابدية  
مختفية فيها .

أما خوفكم من الموت فهو اشبه بارتعاش الراعى الواقف  
أمام الملك الذى يريد ان يرفع يمينه فوقه لى يكرمه وينعم  
عليه بوسام الرضى والفخر .

أفلا يفرحُ الراعى مع ارتعاشه لان مليكه يُقلدهُ وسام  
الشرف والرضى ؟

ولكن الا يشعر مع ذلك بارتعاشه وخفقان قلبه ؟

\*  
\* \*

وهل موت الانسان هو اكثر من وقوفه عارياً في  
الرياح وذوبانه في حرارة الشمس ؟

أم هل انقطاع التنفُّس ، غير تحرير النفس من دورانه  
المتواصل ، لكي يستطيع ان ينهض من سجنه ويخلق في  
الفضاء ساعياً الى خالقه من غير قيد ولا تعويق ؟

\*  
\* \*

انكم لا تستطيعون ان تترنموا بالأنشيد حتى تشربوا  
من نهر الضمت .

ولا تستطيعون ان تباشروا الصعود الى الجبال حتى  
تبلغوا الى قننها .

ولن تقدروا ان ترقصوا حتى تتسلم الارض جميع  
اعضائكم .  
وكان المساء .

فقال العرافة المطرة ، مبارك هذا اليوم وهذا المكان  
الذى جمعنا بك . ومباركة روحك التى خاطبت ارواحنا .  
فاجاب وقال ، « وهل انا الذى تكلمت ؟ ألم أكن انا  
سامعاً نظيركم ؟ »



ثم نزل عن درجات الهيكل ومشى ، فتبعه الشعب  
باسره .

وظل يجد فى سيره والشعب يلحق به حتى وصل الى  
المرفأ ، فصعد الى سفينته ووقف على ظهرها  
حينئذ رفع صوته ، والشعب ينظر اليه ، وقال لهم :  
يا ابناء اورفليس ، ان الريح تأمرنى ان افارقكم .  
ومع اننى لست كالريح عجولاً ، فانى مرغمة ان اطيع  
اوامرها .

لأننا نحن الهاميين ، الذين ينشدون ابداً اشد الطرق  
وحدةً ، لا نبداً اعمالنا نهاراً ، عند ما تفرغ من نهار غيره .  
ولا نجدنا شروق شمس حيث تركنا الغروب الذى تقدمه ؟  
لأننا ، وان نامت الارض ، مستيقظون نوالى مسيرنا .  
نحن بذور نبات غريب عجيب ، وفى بلوغنا واكتمال  
نمو قلوبنا قد وهبنا منحةً للريح فتفرقنا على وجه الارض .



قليلة كانت ايامى بينكم ، وأقل منها كلماتى التى تركتها لكم .  
ولكن اذا تلاشى صوتى فى آذانكم وزالت محبتى من  
قلوبكم فحينئذ آتى اليكم سريعاً ،  
واخاطبكم ثانية بقلب اوفر عطفاً من قلبى وشفتين  
أجربى إيماناً للروح من شفتى .

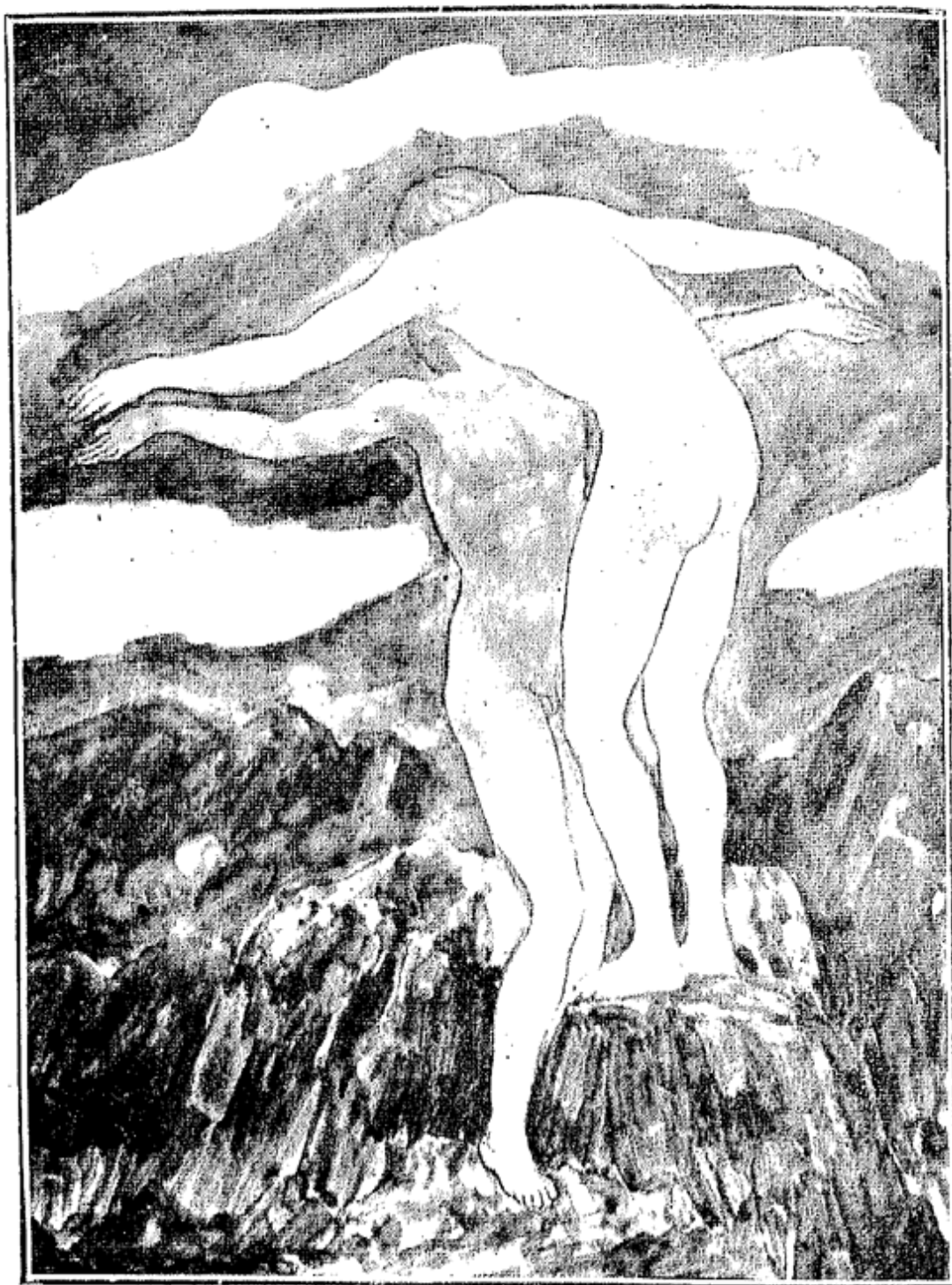
اجل ، اننى سأرجع مع المد ،  
فان حجبى الموت عنكم الآن ، وضئى الصمت العظيم  
بين طيات سكينته ، فاننى سأنشد ادراككم مرة أخرى .

ولن تذهب أتعابى فى ذلك الحين عبثاً .  
فان كنت قد خاطبتكم اليوم بالحق الصريح ، فان هذا  
الحق سيظهر ذاته لكم فى ذلك اليوم بصوت اتقى من صوته  
اليوم ، وبكلمات اقرب الى افكاركم من كلماته اليوم .



اننى ماضٍ مع الريح ، يا أبناء اورفليس ، ولكن لن  
أهبط الى العالم السفلى ، الى الفراغ المرعب :  
فاذا لم يكن هذا اليوم قد اكمل حاجاتكم وأفعمكم  
من محبتي ، فليكن موعداً ليوم آخر .  
فان حاجات الانسان تتبدل ، ولكن نخبته لا تتغير ،  
ومثلها رغبته فى ان تشبع المحبة حاجاته .  
فاعلموا اذن اننى سارجع اليكم من عالم الصمت والسكينة .  
لان الضباب الذى يفارق الأرض عند بزوغ الفجر ،  
من غير أن يترك سوى قطرات صغيرة من الندى فى الحقول ،  
انما يرتفع فى الجو لى يتجمع هنالك فيولف السحاب الذى

لا يلبث ان يعود الى الارض مطراً غزيراً .  
وقد كنت بينكم مثل هذا الضباب .  
ففي سكونة الليل كنت أمشي في شوارعكم ، وكنت  
أدخلُ بروحي الى أعماق منازلكم ،  
وكانت نبضات قلوبكم تتردد في قلبي ، وسحائب لهائكم  
تنتشر على وجهي ، وقد عرفتمكم بعُجركم وبُجركم .  
نعم ، قد عرفت فرحكم وحزنكم ، وفي هجوعكم كانت  
احلامكم احلاماً لي .  
وكثيراً ما كنت بينكم بحيرةً بين الجبال .  
فكانت ترسم على صفحات مرآتي قننكم الشاهقة ،  
ومنحدراتكم المتعرجة ، حتى قطعان افكاركم ورغباتكم الباعرة  
عليها .  
وكان ضحك اولادكم يجري الى سكونتي مع مياه  
الجداول ، وكان حنين شبانكم وشاباتكم يأتي الى مع مجاري  
الانهار .



102 ixas



ومع ان الجداول والانهار كانت تبلغ الى اعماق فانها لم  
تكن تنقطع البتة عن الغناء .

\*\*\*

ولكن هنالك ما هو أحلى من الضحك وأعذب من  
الحنين ين من جاء الى منكم .

الا وهو السكائن غير المحدود فيكم ،  
الانسان البالغ العظمة فيكم الذى لستم سوى أنسجة  
وعضلات فى كيانه ،

والمرنم الذى ليس غناؤكم امام غناؤه سوى اختلاج  
وهينة .

وانتم لا تعرفون العظمة الا بهذا الانسان العظيم الذى فيكم ،  
وعند ما رايته رايته حقيقتكم ، وأحببتكم .

لانه هل فى الوجود علو او بعد تصل اليهما المحبة ولا  
يحيط بهما فى دائرة كيانه العظيمة الاتساع ؟

ام هل هنالك تصورات او تمنيات او أحلام تستطيع  
ان تسمو فتبلغ الى أقصى ارتفاعه ؟

اجل ، ان هذا الانسان العظيم هو بالحقيقة كالسندية  
الجبارة المغطاة ببراءم التفاح الجميلة .

فقدرته تُقيدكم بالارض ، وشذاهُ يرفعكم الى اعلى  
الفضاء ، وفي عزمه وصبره على عواصف الطبيعة انتم خالدون .

\* \*

قد أخبرتم فيما مضى انكم كالسلسلة ، ضعفاء كاضعف  
حلقة في كيانكم .

غير ان هذا انما هو نصف الحقيقة . فانتم ايضاً اقوياء  
كاقوى حلقة من سلسلتكم .

لانا اذا حكمنا عليكم باصفر اعمالكم كنا كمن يحكم  
على قوة البحر بما في زبدته من الضعف وسرعة الزوال .  
وان حكمنا عليكم بخيبتكم كنا كمن يلوّم الفصول  
لتعاقبها وعدم ثباتها .

\* \*

اجل ، انكم بالحقيقة كالاوقيانوس العظيم ،

فمع ان سفناً عظيمة تنتظر مد البحر وجزره على شواطئكم،  
فانتم كالأوقيانوس، لا تستطيعون ان تعجلوا مدكم وجزركم.

وانتم كالفضول ايضاً يا ابناء اورفليس،

فانكم تنكرون ربيعكم في شتائكم،

ولكن الربيع لا ينكركم، بل يبتسم لكم في غفلته،  
من غير ان يغضب او يتعكر صفوه.

ولا يخطر لكم اني اقول لكم هذا لكي أحملكم على  
ان تهمسوا بعضكم لبعض قائلين، « قد أجاد في مدبحنا  
والثناء علينا. ولم ير سوى الصالح فينا. »

فانني أنقل اليكم بالفاظي، ما تدركونه انتم بافكاركم.  
وهل المعرفة اللفظية سوى ظل للمعرفة غير اللفظية؟  
لان افكاركم وكلماتي ماهي عند التحقيق الا امواج  
تقذف بها بحيرة الذاكرة المختومة التي تحتفظ بدواوين  
ماضينا وماجرياتنا،

وحوادث الايام المنصرمة عند ما لم تكن الارض

تعرفنا ، وكانت تجهل ذاتها ايضاً ،  
واحلام الليالى عند ما كانت الارض خربة خاوية  
خالية .



قد جاءكم الحكماء قبلى لى يقدموا لكم من حكمتهم ،  
اما انا فقد اتيت اليكم لى اغرف من معين حكمتكم .  
وها أنذا قد وجدت ما هو أعظم من الحكمة .  
قد وجدت اروحا ملتهبة فيكم ما برحت تستزيد جمع  
مبعثرات ذاتها ،

غير انكم كنتم وما زلتم غافلين عن اتساعها وتماظمها ،  
تنوحون وتبكون على ايامكم الزائلة .  
فان الحياة تفتش عن الحياة فى أجسام الذين يخافون  
القبور .



ولكن لا قبور ههنا .

لان هذه الجبال والسهول انما هي بالحقيقة سرير<sup>ه</sup> ومرقاة .  
فاذا قادتكم خطواتكم الى الحقل الذى وضعت فيه  
اسلافكم فتأملوا جيداً فى جميع جهاته ، تروا ذواتكم  
ترقصون مع اولادكم جنباً الى جنب .  
فانى الحق اقول لكم ، انكم كثيراً ما تفرحون وانتم  
لا تعرفون .



وآخرون جاءوا اليكم وعللوكم بالمواعيد الذهبية التى  
تبشرون عليها صروح ايمانكم فوهبتهم لهم ثروة وقوة وعظمة .  
اما انا فقد اعطيتكم أحقر موعد ، ولكنكم اظهرتم  
نحوى أريحية لم تظهروها لسواى .  
فقد اعطيتمونى تمطشى الشديد للحياة .

فانى اصارحكم القول انه ما من عطية فى هذا العالم  
أجزل فائدة للانسان من العطية التى تحول كل ما فى كيان  
من الاميال والرغبات الى شفتين محترقتين عطشاً ، وتجعل

حياته جميعها ينبوعاً حياً باقياً .

وهو ذا نفري وأجرى ، —

في آية ساعة جئت ينبوع متعطشاً أجد الماء الحى  
المتدفق من فم ينبوع متعطشاً ايضاً :  
قيشربنى هذا الماء كما اشربه .

\*  
\* \*

وقد خيل الى البعض منكم اننى عيوفٌ حبيٌّ فلا أقبل  
عطيةً من عطاياكم .

على اننى بالحقيقة أكره قبول الاجور ولكنى  
لا أرفض العطايا .

وانه غير خافٍ عليكم اننى كنت أقتوت بأثمار العليق  
والتوت بين التلال في حين انكم كنتم ترغبون فى ان اجالسكم  
حول موائدكم ،

وكنت أنام فى زواق الهيكل فى حين ان كلاً منكم  
كان يفرح لو يتاح له ان يأوينى فى بيته .

ولكن اليست محبتكم الشديدة المزوجة بدموع العناية  
بأيامى وليالىً هى التى جعلت الطعام حلواً فى فمى وحفت نوى  
بالوحى والاحلام ؟



لاجل هذا ابارككم من اعماق قلبى :  
لانكم تعطون كثيراً ولا تعرفون انكم تعطون شيئاً .  
الحق اقول لكم ، ان اللطف الذى ينظر الى ذاته فى  
مرآةٍ ينقلبُ حجراً .  
والعمل الصالح الذى يسمّى نفسهُ باسماء جميلة يصير والدّاً  
للجنة كريهة .



وقد دعانى فريق منكم متوحداً ثملاً بمحبة وحدثنى ،  
اما انتم فقتلتم بعضكم لبعض ، « لا تبالغوا فى عدلٍ  
وملامته ، فانهُ يجب ان يؤلف مجلسه من اشجار الأحراج  
وليس من ابناء الانسان . »

وهو يستلذ الجلوس على رؤوس التلال والنظر الى  
مدينتنا . »

واننى بالحقيقة قد تسقت التلال ومشيت فى اراضٍ  
بعيدة جداً .

لانهُ كيف امكنتى ان اراكم من غير ان اكون فى علو  
شاهق ، أو بعد شاسع ؟  
او كيف يستطيع احدٌ ان يكون قريباً ما لم يكن  
بعيداً ؟



وغيركم من كان ينادىنى ، ولكن بغير الالفاظ ، ويقول لى ،  
« ايها الغريب ، ايها الغريب ، المتعشق مالا يُبلغُ اليه  
من الشاهقات ، لماذا تقطن بين قنن الجبال حيثما تبني النصور  
اعشاشها ؟

لماذا تسعى الى مالا سبيل للحصول عليه ؟  
اى نوع من العواصف تريد أن تصطاد لشبكته ،

وما هي الطيور البخارية التي تفتش عنها في السماء ؟  
هلمّ الينا ، وكن واحداً منا .  
•  
اهبط من علوك ، وسكن حدة مجاعتك بخبزنا ،  
وأخذ لظى عطشك بلذيد خمرتنا ؟ »

قالوا هذه الاقوال كلها في وحدة نفوسهم ؛  
ولو كانت وحدتهم أعمق مما هي لادركوا اني لم اكن  
أسعى الا الى ادراك سرّ افراحكم وآلامكم ،  
ولم اكن اصطاد سوى ذواتكم الكبرى السائرة نحو  
السماء .



ولكن الصياد قد صار صيداً :  
لان كثيراً من سبهامى لم تترك قوسى الا لى تسعى  
الى صدرى .  
والطائر قد صار زحافة :

لأننى عند ما بسطت جناحيّ فى الشمس صار ظلهم على  
الأرض ملحفاة .

وأنا المؤمن صرت مرتاباً ،  
لأننى كثيراً ما وضعت أصبعى فى جنبى رجاء أن ابلغ  
الى كمال إيمانى بكم ومعرفتى لحقيقتكم .

\*  
\* \*

وبهذا الايمان وهذه المعرفة اقول لكم ،  
انكم لستم محصورين فى سجون أجسادكم ، كلا ،  
ولستم مقيدون بجدران بيوتكم وحدود حقولكم .  
فإن الذات الخفية التى تمثل حقيقتكم تقطن فوق الجبال  
وتهيم مع الرياح .

لأنها لا تدب الى الشمس مستدفئة ولا تلمس طريقها  
فى الظلمة مستنجدة ،

بل هى روح حرة طليقة تغلف الأرض وتركب دقائق  
الآثير .

\*  
\* \*

وان جاءت كلماتي هذه غامضة على أفهامكم فلا تسعوا  
وراء ايضاحها .

فان الغموض والسديم هما بداءة كل شيء لانهايته ،  
واننى بملء الرغبة اود ان تتذكرونى كبداءة .  
والحياة ، وجميع الكائنات الحية ، انما تتصور اولاً  
فى الضباب وليس فى البلور .

ومن يدري ان البلور لم يكن ضباباً متجمداً ؟



وهذا ما اود ان تحتفظوا به مع ذكرى :  
ان ما يبدو لكم ضعيفاً متضعضاً فيكم هو اقوى  
وأثبت ما فى كيانهكم .  
لانه أليس لهانكم هو الذى يقيم بنيان عظامكم  
ويلشده ؟

بل ليس الحلم الذى لم يحلم به أحدٌ منكم قط هو الذى  
بنى مدينتكم وعمل كل ما فيها ؟  
فلو كان لكم ان تنظروا مجارى ذلك الالهات لما كانت  
لكم حاجة الى ان تنظروا شيئاً آخر غيرها ،  
ولو استطعتم ان تسمعوا مناجاة ذلك الحلم لما كنتم  
ترغبون فى سماع اى صوت آخر فى العالم .



ولكنكم لا تتظرون ولا تسمعون ، وحسنًا تفعلون .  
فان الحجاب المسدول على عيونكم سترفعه اليد التى  
حاکته ،

والطين الذى يسدُّ آذانكم ستنزعه الأصابع التى  
جبلته .

وحينئذ تبصرون .

وحينئذ تسمعون .

يَدَ انكم لن تتحسروا على انكم كنتم عمياً او صُمّاً ،  
لانكم فى ذلك اليوم ستعرفون المقاصد الخفية فى  
كل شىء ،

وستباركون الظلمة كما تباركون النور .



وعند ما قال هذا نظر حواليه ، فرأى ربَّان سفينتهِ  
منتصباً أمام السكان وهو ينظر تارة الى الاشرعة وطوراً  
الى البحر :  
فقال :

ان ربان سفينتى واسع الصدر جزيل الصبر .  
فان الريح تهب بعنف ، والاشرعة مضطربة ؛  
حتى ان السكان نفسهُ يحتاج الى من يديره ؛  
ومع كل هذا فان ربان سفينتى ينتظر سكوتى .  
وهؤلاء الملاحون رفقائى ، الذين سمعوا جوق المنشدين

فى البحر الاعظم ، قد اصغوا الى بطول اناة .  
ولكنهم لن ينتظروا ثانية واحدة بعد .  
فانى على اتم الالهية للسفر .  
فقد وصل الجدول الى البحر ، وأُتيح للام العظيمة ان  
تضم ابنها الى صدرها مرة ثانية .



فالوداع ، الوداع ، يا ابناء أورفليس .  
قد غربت شمس هذا اليوم .  
واغلق علينا ابوابه كما تغلق زنبقة الغور اوراقها على  
غدها .

فكل ما أعطيناه ههنا سنحتفظ به ،  
واذا لم يكن كافياً لسد حاجتنا ، فانتا نأتى ثانية الى  
هذا المكان ونمد أيدينا مغاًلن أعطانا .  
ولا تنسوا انى سأتى اليكم مرة اخرى .





فلن يمرّ زمن قليل حتى يشرع حنيني في جمع الطين  
والزبد لجسد آخر .

قليلًا ولا تروني ، وقليلًا وتروني ،  
لأن امرأة أخرى ستلدني .



اودعكم واودع الشباب الذي قضيت بينكم .  
فاتنا في الإمس قد اجتمعنا كما في حلم .  
قد أنشدتم لي في وحدتي ، وبنيت لكم من اشواقكم  
برجًا في السماء .

ولكن عهد النوم قد انقضى ، والحلم قد مضى ، ولسنا  
الآن عند بزوغ الفجر .

لأن الظهيرة ترقص فوق رؤوسنا ويقظتنا الناقصة قد  
تحولت الى نهار كامل ، فيجدر بنا ان نفترق .

فاذا جمعنا شفق الذكرى مرة أخرى فاتنا حينئذ نتكلم

معاً ، وحينئذ تنشدون لى انشودة اوقع فى النفس من  
انشودة اليوم .

وان اجتمعت ايدينا فى حلمٍ ثانٍ فهناك سنبني برجاً  
آخر فى السماء .



وعند ما قال هذا أشار الى الملا حين اشارة تؤذن بالسفر ،  
فرفعوا مرساة السفينة فى الحال وحلوا حبالها ، وساروا نحو  
الشرق .

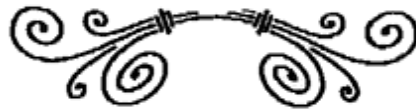
فصرخ الشعب كله بصوت عظيم كما من قلب واحد ،  
وتعالى صراخهم فى الشفق فحملته دقائق الهواء فوق البحر  
كانه صوت بوق عظيم .

اما الأمطرة العرافة فكانت صامته وحدها ، تشيع  
السفينة بنظرها حتى توارت فى الضباب .

ثم تفرق الشعب كل فى سبيله ، بيد انها ظلت وحدها

واقفة على شاطئ البحر تردد في قلبها كلمات المصطفى  
الاخيرة :

« قليلاً ولا تروني ، وقليلاً وتروني ،  
لان امرأة اخرى ستلذني . »



## فهرس الكتاب

| صفحة |              | صفحة                 |
|------|--------------|----------------------|
| ٦٤   | العقل والهوى | ٣ كلمة المترجم       |
| ٦٧   | الام         | ١١ النبي             |
| ٦٩   | معرفة النفس  | ٢٠ المحبة            |
| ٧١   | التعليم      | ٢٥ الزواج            |
| ٧٢   | الصداقة      | ٢٦ الاولاد           |
| ٧٥   | الكلام       | ٢٨ العطاء            |
| ٧٧   | الزمان       | ٣٣ المأكل والمشرب    |
| ٧٨   | الخير والشر  | ٣٥ العمل             |
| ٨٢   | الصلاة       | ٣٩ الفرح والترح      |
| ٨٥   | اللذة        | ٤٢ البيوت            |
| ٩٠   | الجمال       | ٤٦ الثياب            |
| ٩٣   | الدين        | ٤٧ البيع والشراء     |
| ٩٦   | الموت        | ٥٠ الجرائم والعقوبات |
| ٩٩   | النساء       | ٥٦ الشرائع           |
| ١١٦  | الوداع       | ٦٠ الحرية            |

ملحق

بكتاب النبي

---

ترجمة

الأرشمندريت أنطونيوس بشير

---

جميع الحقوق محفوظة للمترجم



ترجم فيما يلي الخطاب الذي القاهُ الاستاذ فرانكل  
رئيس الطائفة اليهودية في مدينة ديترويت ميتسشينغان من  
اعمال الولايات المتحدة الاميركية على نخبة من علماء المدينة  
وكبار مفكرها يصف لهم كتاب « النبي » ومؤلفه جبران  
 خليل جبران بدرس تحليلي يتضح لكل من يطالعهُ الدرجة  
 التي بلغ اليها نابغة الوطن المحبوب في المهجر لدى ابناء أميركا .  
 وكان في ودنا ان نصّعه في مقدمة الكتاب ، غير اننا عدلنا  
 عن ذلك لكي لا نقيّد المطالع بفكر الخطيب ، فرأينا ان  
 نجعله ملحقاتاً بالكتاب يطالعهُ القارئ الاديب بعد ان يفرغ  
 من مطالعة « النبي » المرة الاولى فيُنعم النظر في ما يقدمهُ  
 له من الملاحظات الجديرة بالاعجاب والتأمل ثم يعود الى  
 قراءة الكتاب مشى وثلاث ورباع فتكون له هذه الملاحظات  
 مع اختبارهِ الشخصي في درس هذا السفر النفيس خير معوان

على التقاط درره الفريدة . واتنا مع الخطيب بكل ملاحظاته  
ما عدا رغبته في ضم جبران الى اليهودية !!  
وهذه خطبة الاستاذ فرانكل :

كما ان المجتاز في الصحراء المحرقة وقد قرصته الشمس  
بحزارتها القاسية وخارت قواه حتى الموت تجاه الرياح الشرقية  
الهابة في وجهه فبات واهى العزم قليل الامل في الحياة —  
كما ان هذا الهائم المسكين وقد نفدت جعبة صبره يقبل  
على واحة مخضلة الجوانب فيشعر برقة النسيم العليل ينعش  
قلبه ويحيي ميت آماله ، هكذا ونحن في وسط مزاحمت  
هذا العالم الغربي المزدهم الملتصق بمحبة المادة وقد اثقلت  
المصالح العمياء المتضاربة كواهلنا تنفس الحياة والرجاء  
السعيد عند ما تهب علينا نسمة من نسائم الشرق الروحي  
الخالد .

اجل ، ان الغرب قد نبى صروحه وابنيته الشاهقة المتينة  
من الفولاذ والحجارة : وقيد جدا وله الشاردة في مجاهل

الأرض واستخدمها لتدير مصانعها ومعاملها وتجهزها بالقوة اللازمة لما استنبطه من الآلات والاختراعات ، وتوفر ، لأجل رفاهية الناس وراحتهم ومسراتهم ومنافعهم ، جميع الحاجات المادية التي هي كل يوم في ازدياد وعليها تركز مدنيتنا الحديثة .

أما الشرق فلم يشيد مثل هذه الصروح . بل كان كسولاً بطيئاً في اقتبال ثمرات عبقريتنا ونبوغنا . ولكنه ما برح يحلم أحلامه البعيدة ويرى رؤى وحيه السماوية السعيدة . فالغرب وضع قوات الطبيعة تحت قدميه وأمرها أن تنوب عنه في التعمير والبناء . وأما الشرق فقد اكتفى بالتأمل في جمال عيني الطبيعة والتلذذ برؤية مجدها غير المتغير . ففي الغرب كان يتصاعد صفيح الآلاف والملايين من الآلات التي لا تنقطع عن عملها . وفي الشرق كانت تتصاعد ترانيم الشعراء وتأملات الفلاسفة . الغرب قدم لنا عالماً مترجماً مشغولاً مجدداً . والشرق أنعم علينا يعطاي النبوة والشعر

والفلسفة . ومن الشرق بزغت انوار الرصاة ، والهدو ،  
والوقار ، والسكينة ، والوحدة ، والعظمة الروحية التي اثمرت  
للعالم اشهى الثمرات العقلية والنفسية .

ولاجل ذلك ظل الغرب غرباً والشرق شرقاً فلا يستطيع  
الواحد ان يفهم لغة الآخر ؛ بل ان فكر الواحد ، بما له  
من المميزات الخاصة ، يبدو غريباً بعيداً عن فكر الثاني ولا  
صلة بينهما . وقد شعرت بهذه الحقيقة ووثقت بها الثقة كلها  
عند ما قدمت لكم نتيجة درسى لمؤلفات رايندر انوث طاغور  
وفلسفته . واني لأزداد شعوراً وثقة بهذه الحقيقة اليوم  
اذ آتى لى ادرس معكم درساً خاصاً للكتاب الاخير الذى  
وضعه جبران خليل جبران ، الشاعر والرسام الفنان والفياسوف  
والصوفى النابغة ، الذى وجدت فيه عاطفة الشرق الملتهبة  
ونفسه العميقة فما ينطق بالحكمة وصوتاً يرتفع مستنزلاً  
الكثير من وحى الشرق الروحى الى الغرب المادى .

وقد وعى هذا العبقري فى شخصيته الفريدة عزيمة بالغة

وقوة نادرة وأعجب ما فيهما انهما رفيقتا اللطف والوداعة والركة المتناهية . وقد احسن من قال فيه ، ان مركز رودين في النحت هو كـمركز جبران في الآداب والفنون . وتتضح الدقة في هذه المشابهة لمن حظى منكم بزيارة معرض رودين في باريس حيث يحفظ الكثير من التماثيل الحجرية التي عملها هذا الاستاذ النحات العظيم . وربما كان ذلك أوضح لمن زار اللوكسمبرج ونظر اعمال رودين هناك . ففي كل عضو من كل تمثال من صنع هذا الفنان الكبير ترسم علامة القوة البالغة والعزم بطريقة ظاهرة لا تخفى على ابسط المتأملين . واكثركم يتذكر هذا في عمله المشهور ، « المفكر » . ومع ذلك فان وراء القوة الجبارة التي هي جزء من عمل رودين ، نرى اللطف والركة — بل التناهي في الدقة .

ومثل هذه الصفات والميزات البارزة ترسم امام كل من يقرأ جبران . فان مؤلفاته ورسومه تنقض عليك انقضا العاصفة ولكنها لا تمسك بسوء ، بل تشفيك وتقويك . فلا

أثر للتردد فيها عند ما تحارب ضعفاتك وتقوم اعوجاج حياتك . ولكنها في الوقت نفسه لطيفة لا تثير غضبك .

والحقيقة التي لا مرية فيها ، ان ما يراه البعض تناقضاً مطرداً في الروح ، يرافق اعمال هذا الرجل الشرقي من ألفها الى يائها . فخير ان رجل يكتب الفلسفة بقالب شعري فتان ، ولكن بثقة الفيلسوف البالغ الحكمة الذي يقدم لك افكاراً ممتلئة بروح الشعر والغناء قلما يقربها سواه الا عن طريق الشعر واوزانه . وهو كجميع عظماء الشرق ، كثير الاحلام بعيدها ، بيد ان احلامه كلها فلسفة عملية . فهو يدعو الناس الى التأمل في نجوم السماء ، ولكنه لا يجعلهم يتناسون انهم ابناء الارض . ويؤمن بان الخير خالد غير محدود ولا مرتبط بزمان او مكان ، ولكنه لا يمكن ان يتمتع به الا الذين يجاهدون ويتعبون في الحصول عليه . وهو يسلم بحقيقة الألم ولكنه يهتف بالناس قائلاً :

« ان كأس الألم وان احرق شفاكم ، فهي مصنوعة

من الطين الذي جبلتهُ يدا الفخاري الازلي بدموعه المقدسة . «  
ويعرف ان اليوم يخص كل انسان وان الازلية مثل  
اليوم ، لانهُ كما يقول :

« ليس الامس سوى ذكرى اليوم وليس الغد سوى  
حلم اليوم . »

فهو صوفي كما ترلينك . ولكن صوفيتهُ لا تمنعهُ من  
ان يرى بملء الوضوح الاشياء التي لها وجود حقيقى حولهُ .  
وكثيراً ما يشعر القاريء بميل الى ان يتصورهُ ناسكاً زاهداً .  
ولكنهُ يعرف ان الطيبات والملاذات يمكن ان تكون صالحة ،  
وان مجرد كونها طيبات لذيزات يحول دون كونها شريرة  
بطبيعتها ، وفي ذلك قولهُ :

« ولعلك تسألُ في قلبك قائلاً ، « كيف نستطيع ان نميز

بين الصالح والشرير من الملاذات ؟

فاذهب الى الحقول والبساتين ، وهناك : تتعلم ان لذة

النحلة قائمة في امتصاص العسل من الزهرة ،  
ولكن لذة الزهرة ايضاً تقوم بتقديم عسلها للنحلة .  
والنحلة تعتقد أن الزهرة ينبوع الحياة ،  
والزهرة تؤمن بان النحلة هي رسول المحبة المحيية ،  
والنحلة والزهرة كلتاها تعتقدان أن اقتبال اللذة وتقديمها  
حاجتان لا بدّ منهما وافتتان لاغنى للحياة عنه . »

فهو لا يحتقر ، كالناسك المتقشف ، رفاهية العيش  
وطيبات الارض . ولكنه يعرف جيداً كيف يميز بين  
الطيبات التي تزيد في كمال الحياة وعزمها ، وتلك التي تضلّها  
وتعمل على فقرها وذلّها . وفي ذلك يقول :

« بر بكم اخبروني ، يا ابناء أورفليس ، ماذا تملكون في  
بيوتكم ؟ واى شيء تحتفظون به داخل هذه الابواب  
الموصدة ؟

هل عندكم السلام ، وهو القوة الصامته التي تظهر  
عزيمة ذواتكم في اعماقكم ؟

هل عندكم التذكريات ، وهي القناطر الالامعة التي تصل  
قُنن الفكر الانساني بعضها ببعض ؟

هل عندكم الجمال ، الذي يرتفع بالقلب من مصنوعات  
الخشب والحجارة الى الجبل المقدس ؟

بربكم اخبروني ، هل عندكم كل هذا في بيوتكم ؟ ام  
عندكم الرفاهية فقط والتحرق للرفاهية المعزوجة بالطمع ،  
الرفاهية التي تدخل البيت ضعيفاً ، ثم لا تلبث ان تصير مضيقاً ،  
فسيداً عاتياً ضعيفاً ؟

ثم تتحول الى رائض جبار يتقلد السوط يمينه  
والكلاب يساره متخذاً رغباتكم الفضلى العوبة يتلهم بها .  
ومع ان بنان هذه الرفاهية حريرى الملمس فان قلبها  
حديدي صلد .

فهي تهدي من حديثكم لتناموا ، ثم تقف امام اسرتكم  
هازئة بكم وبجلال أجسادكم .

تضحك من حواسكم المدركة وتطرح بها بين الاشواك

كانها أوعية سهلة الانكسار .

لان التحرق لارفاهية ينجر أهواء النفس في كبدها  
فيرديها قتيلة ، ثم يسير في جنازتها فاغراً شديقه مُرغياً  
مُزبداً . »

ويلوح لى انكم من هذا القليل الذى قدمته لكم ،  
تستطيعون ان تتحققوا انه مع ان هذا الانسان يتكلم  
بلغة لا نقدر نحن ابناء الغرب الغارقين فى احوال المشقات  
والمصالح المادية ، ان تفهمها ونذكر الغاية الروحية البعيدة  
التي يرمى اليها ، فهو يتكلم عن افكار تخطر لكم ولى وعن  
حاجات هى حاجاتكم وحاجاتى — افكار وحاجات تبلغ بالحقيقة  
الى صميم قلب فكرتنا وتنفذ الى اعماق نفوسنا ، وهى وان  
كانت فى الغالب تنكىء غافلةً فى كياننا ، فهى ترغم على الظهور  
فى حياتنا فنعترف بها للحال عند ما يصورها لنا امثال جبران  
بمثل هذا الوضوح .

ولذلك أقول ان هذا الرجل ليس حالمًا ورائيًا فحسب .

بل هو فيلسوف بالغ الحكمة في إيضاح ما خفى من أسرار الحياة ومكنوناتها . وإذا حلت أفكاره وفلسفته ، اتضح لك أن الفلسفة النابغة ، من كل جزء من أجزائها لا تنحصر بالفرد ، بل هي فلسفة اجتماعية إذا أدركت الجماعات والشعوب فخواها وعملت بها كانت خير وسيلة لسعادتهم وطمانينتهم في هذه الأرض .

وأود هنا أن أقول كلمة واحدة في مؤلف الكتاب الذي نجتمع اليوم لدرسه وتحليل فلسفته . واني لا أقدر أن أقول كثيراً في الرجل لأنني لم يتيسر لي أن أجمع معلومات كثيرة عنه . بيد أننا نعرفه كمؤلف لغير واحد من الكتب النفيسة باللغة الانكليزية ، أهمها « المجنون » وقد طبع سنة ١٩١٨ و « الرسوم العشرون » طبع سنة ١٩١٩ ( — والمؤلف رسام رمزي فنان وجميع الرسوم التي تظهر في مؤلفاته إنما تبرزها ريشته الساحرة — ) والمطبوع سنة ١٩٢٠ .

وُلدَ في سورية، وقد دُعي بحق أعظم شعراء الشرق الأدنى . وفي مقدمة الميزات التي يتفرد بها جبران متفوقاً على جميع الكتبة والشعراء والفلاسفة الذين جاءوا من الشرق إلى الغرب ، أنه لا يزال شديد التعلق بروح بلاده وتأملاتها البعيدة ، وهو في الوقت نفسه غير متصامٍ عن الاصغاء إلى صوت مدنية العالم الجديد الضاجة الصاخبة وجميع اختراعاتها واستنباطاتها .

وكل من يطالع « النبي » بفهم روحى وبصيرة عقلية ، لا يستطيع أن يغمض الطرف عن هذه الحقيقة . قالني مع أنه طبع المرة الأولى منذ أقل من خمسة عشر شهراً [ في ايلول سنة ١٩٢٣ <sup>(١)</sup> ] فقد أعيد طبعه ثلاث مرات في هذه

---

(١) التي المعلم فرانكل هذه الخطبة صباح الاحد في ٢٨ ك (ديسمبر) سنة ١٩٢٤ . وسرنا ان ننقل للقراء الادباء هذه الفقرة من رسالة وردت علينا في أواخر شباط سنة ١٩٢٦ من الصديق جبران تظهر اقبال رجال الادب على الكتاب في جميع أنحاء العالم . قال جبران : « كل ما استطيع ان اقوله لك الآن في الكتاب الصغير ، الذي هو جزء من حشاشتي ، انه قد بلغ الطبعة العاشرة ( بالانكليزية ) وانه قد ترجم الى عشر لغات

المدة القصيرة مما يدل على شدة اقبال جمهور المتأدين من  
الاميركيين والانكليز على مطالعته . وهذا الاقبال العظيم  
على كتاب وضع للخاصة من الأدباء وقلماً ينطبق على رغبات  
الجمهور السطحية التي لا تتعدى الروايات والقصص الغرامية  
المملوءة بالأخطار والمحشوة بالأكاذيب ، يدل دلالة واضحة  
على جمال الاسلوب الذي لجأ إليه المؤلف في تأدية حقائقه  
الخالدة للناس . « فالنبي » لا يعرف من القصة إلا ظاهرها .  
لأنه بالحقيقة سلسلة مقالات تبحث بحثاً فلسفياً سامياً في الحياة  
البشرية وحاجاتها ورغباتها من المهد إلى اللحد . والحق يقال

اورية والى اليابانية والهندستانية من اللغات الشرقية — و « الحبلى على  
الجرار » — وأما رأى القوم في الكتيب من وودرو ولسون الى أكبر  
شاعر انكليزى ، الى أشهر كاتب فرنسى الى غاندى الهندى الى العامل  
البسيط الى الزوجة والام فما لم انتظره أو اتخيله قط . ولذلك أجد نفسى  
مخجولاً في بعض الاحياء أمام عطف الناس وكرمهم .

واننا لانشك في أن قراء العربية سيستقبلون « النبي » العربى الذى  
هو ثمرة نبوغ ابن بلادهم بما لا يقل عن الاجانب فلا تنطبق عليهم الآية .  
« ليس نبي بلاكرامة الا في وطنه وبين أهله . » المترجم

انه قلما يوجد موضوع من المواضيع الهامة في الحياة التي هي شغل الناس الشاغل في دوائرهم العلمية العليا لم يطرقة المؤلف — فكان في بعض هذه المواضيع موجزاً وفي بعضها مسهباً — في هذا الكتاب الصغير بعدد صفحاته الكبير يبالغ حكمته وخالد آياته ، ولذلك لا يخطر لك ان قلة صفحات هذا الكتاب تحملك على الظن أن في استطاعتك أن تقرأه في وقت قليل . فهو من الكتب الفريدة في العالم « كالكوميديّة الالهية » لدانتى ، و « الفردوس الضائع » لملتون ، و « سفرى أيوب » و « أشعياء » وأكثر كتب التوراة ، الكتب التي يجب أن تقرأ أولاً وثانياً وثالثاً وعاشراً وفي كل يوم وكل ساعة ، إذا كان القارئ يود إدراك جواهرها والحصول على دررها . وتتضح لكم عظمة الكتاب من سرد بعض المواضيع التي يطرقتها المؤلف فيه ، مثل الحب والزواج ، الأولاد ، الأخذ والعطاء ، العمل واللعب ، الفرح والترح ،

الأكل والشرب، البيع والشراء، البيوت والثياب، الجرائم والعقوبات، الشرائع والحرية، الخير والشر، الألم، اللذة، الصداقة، الجمال، الدين، الموت، الخلود. وليست هذه جميع المواضيع التي بحث عنها المؤلف في كتابه.

وإن شئنا أن نسمى الطريقة التي لجأ إليها المؤلف في كتابه قصة فهي تبدأ بذكر نبى مختار حبيب دعاه المصطفى وقد انتظر اثنتى عشرة سنة في مدينة أورفليس مترقباً عودة سفينته الى المدينة لكي يركبها عائداً الى الجزيرة التي وُلد فيها. وفي اثناء الاثنتى عشرة سنة التي قضاها في الترقب والانتظار، كان يعلم أبناء أورفليس ويهذبهم حتى علقته قلوبهم وعشقتهم ارواحهم وصار لديهم موضوع اعجاب واحترام مما لم يستطع معلم آخر ان يفعله بينهم. فقد أعطاهم من كل ما كان له من الحكمة والمعرفة ولكنه لم يقبل الا القليل من عطاياهم. فلم يكن يجلس إلى موائدهم ولم يرض قط أن يدخل مساكنهم التي طالما فتحوها له من صميم قلوبهم، فكان

يفضل أن يجوب الغابات ويتنقل في الأحراج مفترشاً الغبراء  
وملتحفاً السماء .

وأخيراً وصلت سفينته ودنت الساعة ليفارق الشعب  
الذى نشأ على حبه واحترامه . ولكن الكآبة استولت على  
قلبه لدى مجرد افتكاره بفراق أبناء روحه ولذلك نراه يقول :  
« قد كانت أيام كآبتي طويلة ضمن جدران هذه  
المدينة ، وأطول منها كانت ليالي وحدتي وانفرادي ، ومن ذا  
يستطيع أن ينفصل عن كآبته ووحدته من غير أن يتألم  
في قلبه ؟

كثيرة هي أجزاء روحى التى فرقها فى هذه الشوارع ،  
وكثير هم أبناء حنينى الذى يمشون عراة بين التلال ، فكيف  
أفارقهم من غير أن أثقل كاهلى وأضغط روحى !  
فليس ما أفارقه بالشوب الذى أنزعه عنى اليوم ثم ارتدى  
به غداً ، بل هو بشرة أمزقها يدي .

كلا ، وليس فكراً أخلفه ورأى ، بل قلباً جمّلته

مجاثي وجعله عطشى رقيقاً خفوقاً .  
وفيما هو ذاهب إلى سفينته لقيه الشعب بأسره ، صغاراً  
وكباراً ، وطفقوا يضرعون إليه أن يمكث بينهم برهة  
وجيزة . وقال له أحدهم :

« لا تجعل عيوننا تشوق لرؤية وجهك »  
وقال له آخر :

« قد تعشقتك قلوبنا وعلقتك أرواحنا ، ولكن محبتنا  
تقنعت بقنع الصمت فلم نستطع أن نعبّر عنها .  
يبد أنها تصرخ إليك . الآن بأعلى صوتها ، وتمزق  
قنعتها يديها لكي تظهر لك حقيقتها .

فان المحبة منذ البدء لا تعرف عمقها إلا ساعة الفراق »  
ثم جاء إليه كثيرون متوسلين متضرعين ، وكانت بينهم  
امرأة خرجت من المقدس اسمها المطرة ، وكانت عرّافة  
فنظرت إليه نظرة ملؤها العطف والمحبة لأنها كانت أول  
من سعى إليه وآمن به عند ما لم يكن له إلا ليلة وضحاها  
في مدينتهم . ثم قالت له :

« إننا واحدة نسألك قبل أن تفارقنا :

أن تخطب فينا وتعطينا من الحق الذى عندك . ونحن  
نعطيه لأولادنا وأولادنا لأولادهم وأحفادهم ، وهكذا  
يثبت كلامك فينا على ممر العصور .

ففى وحدتك كنت ترقب أيامنا ، وفى يقظتك كنت  
تصغى إلى بكائنا وضحكنا فى غفلتنا .

لذلك نضرع إليك أن تكشف مكنوناتنا لذواتنا ،  
وتُخبرنا بكل ما أظهر لك من أسرار الحياة ، « من المهد  
إلى اللحد » .

فأجاب سؤالها ولم يخيب طلبتها ، وشرع يخاطب كلاماً  
فى دوره بحسب السؤال الذى يطرحه عليه . والملاحظ  
البصير يدرك من مطالعة هذه الأسئلة أن كل انسان كان  
يسأله ما هو فى حاجة اليه رجلاً كان أو امرأة . فالمرأة تسأله  
عن الأولاد ، والغنى يسأله عن العطاء ، والفلاح عن العمل .  
والشاب عن الصداقة ، والشاعر عن الجمال ، والكاهن عن

الدين ، والعرفقة عن الحب والزواج وأخيراً عن الموت والابدية .

واننى قاصرٌ عن ان أصف لكم فى هذه الخطبة الحاضرة آراء المؤلف فى جميع المواضيع التى يعالجها فى كتابه . لاننى لا ابالغ البتة اذا قلت ان كل خطبة من خطبه كافية لان تكون اساساً متيناً لاية عظة من العظات الكبرى . وكل ما اود ان ابلىغ اليه فى هذا الخطاب الحاضر أن اشير الى اتساع فكر المؤلف وسمو حكيمته وهكذا استطيع ان اقودكم الى حيث تستطيعون ان تتبعوه فى طريقه ومسالكه الصعبة الضيقة ( وما اصعب الطريق التى تؤدى الى الحياة ) بسهولة تامة ربما لا تكون لكم بغير هذه الوسطة .

فقد سبقت فوضحت لكم ان لجبران فلسفة اجتماعية لا يضيع الفرد فيها فى جسم الجماعة ، ولا يستطيع فى الوقت نفسه ان يدرك فى كمال وحدته معنى الحياة الكامل ويبلغ الى عزة اقتدارها . او بعبارة اخرى ، ان كل انسان يجب ان

يقف وحده في الحياة ، فيفكر بمقياس فكره الخاص ،  
ويعني بحل مشاكله الخاصة ، ويحيا حياته على وفق رغبات  
قلبه . وفي ذلك يقول المؤلف :

« لأن الوحي الذي يهبط على رجل ، لا يعير جناحيه  
لغيره .

وكما ان لكل منكم مقاماً منفرداً في معرفة الله اياه ،  
هكذا يجب عليه ان يكون منفرداً في معرفته لله وفي ادراكه  
لاسرار الارض . »

ومن الجهة الاخرى يجب على الانسان ان يضع نصب  
عينيه انه مقيد في هذا العالم بمئات الروابط التي تربطه باخوته  
في الانسانية ، وانه لم يبلغ الى الدرجة التي هو فيها الا بما كان  
لحياتهم من التأثير في حياته . وان حياتهم ايضاً تتكيف  
وتتطور بالتأثير الخفي الذي لحياه فيهم وان كان يغفل عن هذا  
التأثير في غالب الاحيان . او كما قالت القدماء ، « مامن رجل  
يعيش وحده في العالم او يحيا لذاته دون سواه . » فالفرد

يشارك الكل في قسمتهم والكل يشاركون الفرد في قسمته .  
وقد اوضح لنا جبران هذه الفكرة بقطعة فتاة من  
كتابه وضمنها اولاً اخلاق الناس وطبائعهم، وثانياً الشفقة  
البالغة على الذين يخيل اليها انهم سقطوا عن درجة الرجل  
العادي من الناس . ثم يضيف الى ذلك كله تويخاً لطيفاً مؤثراً  
للرجل الذي ينتفخ بروح العجب والكبرياء على رفقاته لانه  
استطاع ان يبلغ الى درجة من الرقي والآداب لم يقدر رفقاؤه  
ان يصلوا اليها . وهذا ما يقوله المؤلف في الموضوع :  
« قد طالما سمعتم تتخاطبون فيما بينكم عن يقترف اثماً  
كانه ليس منكم ، بل غريب عنكم ودخيل فيما بينكم .  
ولكنني الحق اقول لكم ، كما ان القديس والبار  
لا يستطيعان ان يتساميا فوق الذات الرفيعة التي في كل منكم »  
هكذا الشرير والضعيف لا يستطيعان ان ينحدرا الى  
أدنى من الذات الدنيئة التي في كل واحد منكم .  
وكما ان ورقة الشجر الصغيرة لا تستطيع ان تحول لونها

من الخصرة الى الصفرة الا بارادة الشجرة ومعرفتها الصامته  
في اعماقها ،

هكذا لا يستطيع فاعل السوء بينكم ان يقترب ائماً  
بدون ارادتم الخفية ومعرفتم التي في قلوبكم .

فانكم تسرون معاً في موكب واحد الى ذاتكم الالهية .  
أنتم الطريق وانتم المطرقون .

فاذا عثر احدٌ منكم فانما تكون عثرتهُ عبرةً للقادمين  
وراءهُ فينتبهون للحجر الذي عثر به .

اجل ، وتكون عثرتهُ تويخاً للذين يسرون أمامهُ  
باقدام سريعة ثابتة لانهم لم ينقلوا حجر العثار من طريقه .  
ثم يقول :

« لذلك لا تستطيعون ان تضعوا حداً يفصل بين  
الاشرار والصالحين والابرياء والمذنبين :

لانهم يققون معاً أمام وجه الشمس ، كما ان الخيط  
الايض والخيط الأسود ينسجان معاً في نول واحد .

فاذا انقطع الخيط الاسود ، ينظر الحائك الى النسيج  
بأسره ، ثم يرجع الى نوله يفحصه وينظفه .  
وفي موضع آخر يقول :

« وان رغب احدٌ منكم في أن يضع الفأس على أصل  
الشجرة الشريرة باسم العدالة فليُنظر أولاً في اعماق جذورها :  
وهو ولا شك واجدٌ أن جذور الشجرة الشريرة وجذور  
الصالحة ، المثمرة وغير المثمرة ، كلها مشتبكة معاً في قلب  
الارض الصامت . »

واننى اشعر ان مثل هذه الكلمة الخالدة يجب ان تقع  
على الذين يدينون غيرهم من الناس ، كأنها رسول الرحمة والمحبة ،  
يتذكرهم انه ليس بالعسير الشاق عليهم ان يتصوروا مركزهم  
ومركز قريبهم الذى يريدون ان يحكموا عليه ثم يضعوا ذواتهم  
في موضعه ، وحينئذ يقلعون عن دينوتهم .  
والحقيقة التى لا مرية فيها ان جبران هو من بداءة هذا

الكتاب الى نهايته نبي محبة وسلام . فهو يدعو كل انسان الى القيام بعمله بروح المحبة . ولذلك نراه يعرف العمل بقوله ، « ان العمل هو الصورة الظاهرة للمحبة الكاملة . » ثم يقول : « وقد ورثتم عن جدودكم القول بان الحياة ظلمة ، فرحتم في عهد مشقتكم ترددون ما قاله قبلكم جدودكم المزعجون . بيد اننى الحق اقول لكم ، ان الحياة ظلمة حقيقية اذا لم ترافقها الحركة ،

والحركة تكون عمياء لابركة فيها ان لم ترافقها المعرفة ، والمعرفة تكون عقيمة سقيمة ان لم يرافقها العمل ، والعمل يكون فارغاً وبلا ثمر ان لم يقترن بالمحبة . لانكم اذا اشتغلتم بمحبة فانما تربطون ذواتكم وأفرادكم بعضها ببعض ، وترتبطون كل واحد منكم بربه . وما هو العمل المقرون بالمحبة ؟

هو ان تحوّل الرداء بخيوط مسحوبة من نسيج قلبك ، مفكراً ان حبيبك سيرتدى ذلك الرداء .

هو أن تبني البيت بحجارة مقطوعة من مقلع حنانك  
واخلاصك، مفكراً أن حبيبك سيقطن في ذلك البيت .

هو أن تبذر البذور بدقة وعناية وتجمع الحصاد بفرح  
ولذة كانك تجمعهُ لكي يقدم على مائدة حبيبك .

فالعَمَل هو الصورة الظاهرة للمحبة الكاملة . »

ويجدر بنا ألاّ نفعل عن الحقيقة التي يوضحها لنا جبران

بان عمل اليدين مع قداسته ليس بالعمل الوحيد الذي تلازمه  
البركة . فهناك عمل آخر غير مصنوع باليدين يصفهُ لنا قائلاً :

« وان جاءكم المغنون والراقصون والعازفون ، —

فاشتروا من عطاياهم ولا ترفضوهم :

لأنهم يجمعون الاثمار والطور نظيركم ، ومع ان

ما يقدمونه لكم مصنوع من مادة الاحلام فانه أجمل كساء

وأفضل غذاءً لنفوسكم . »

وهكذا، ايها الاخوة ، اذا قرأنا هذا الكتاب من

الصفحة الاولى الى الاخيرة نرى في كل صفحة بل في كل

سطر من سطوره فيضاً روحياً خالداً يتدفق من معين نفس  
عظيمة غنية بعطايا الحكمة والمعرفة . حتى انه عند ما يتكلم  
عن الاشياء التي نسميها بعرفنا مادية ، كالبيع والشراء ،  
والاكل والشرب ، نرى في كلماته عاطفة روحية وقوة اديية  
تأخذان بمجامع القلوب حتى ليجد القارئ نفسه مرغماً على  
الانكباب عليها بكل ذهنه مما يندر ان نجد في كتب نوابغ  
المفكرين . ولذلك لا يدهشنا ان تكون له مثل هذه الجاذبية  
بالقلوب عند ما يعالج المواضيع الروحية التي لا أثر للمادة فيها .  
فان كلاً منا نحن الاميركيين يتمثل أمامه واعظاً من فطاحل  
وعاظنا ينادي قومه المتمرغين في حمأة المادة والمستسلمين  
لبسلطانها ويحثهم على التحرر منها والالتجاء الى مملكة الروح  
الخالدة عند ما يسمع جبران يخاطب العرافة المطرة قائلاً :

« انك تصلين في ضيقتك وفي حاجتك ؛ ولكن حبذا  
لو أنك تصلين في كمال فرحك ووفرة خيراتك .

انا لا استطيع ان أعلمك الصلاة بالالفاظ ،  
لان الله لا يصغى الى كلماتك ما لم يضعها تعالى اسمه على  
شفقتك وينطق بها بلسانك . »

ولجبر ان نظرة حكيمة وعقيدة راسخة في الدين . فهو  
يعتقد أن الدين لا ينحصر في الزمان والمكان . لانه كما قال  
احد معلمينا القدماء ، « جميع الاشياء مقدسة . » والانسان  
لا يستطيع ان يميز جيداً بين الدينى والدنيوى . ولذلك يجب  
ان يلزم الدين حياة الانسان في جميع طرقه ومسالكه . وان  
تظهر ثماره في كل مظهر من مظاهر فكره وحياته . لان  
البرهان على وجود الدين وعمله في الوجود انما هو في حياة  
الانسان وليس في اى شىء آخر خارج عنها ، ولذلك فان  
جبر ان يعتقد ويعلم بكتابه هذا ان الدين يكون حقيقة لا ريب  
فيها في حياة الانسان اذا كان الانسان يستقبل الصالح النافع  
الذى تقدمه له الحياة شاكرًا فرحًا واثقًا بانه عطية الله ،  
ويستقبل الضار المحزن ثابت العزم شجاعاً صبوراً لانه يعرف

بما في قلبه من عاطفة الدين ان هذا ايضاً هو عطية من الله .  
وقد اوضح جبران بطريقة فتاة ان الانسان التقى  
الفاضل الذي يحفظ في قلبه خيرة الدين والفضيلة التي تخمر  
الحياة باسرها لا يكتفى بان يقبل ما تقدمه له الحياة من العطايا  
الربانية شاكراً بل هو ذلك الذي يفرح بعطايا الحياة ثم  
يشكر الله الذي جعله أهلاً لأن يعطى المحتاجين ما هم في  
حاجة اليه من هذه العطايا التي نالها . وهاك ما يقوله المؤلف  
في هذا الموضوع :

« وكل من يعتقد أن العبادة نافذة يفتحها ثم يغلقها ،  
فهو لم يبلغ بعد الى هيكل نفسه الذي نوافذه مفتوحة من  
الفجر الى الفجر .

ان حياتكم اليومية هي هيكلكم وهي دياتكم .  
خذوا معكم كل مالكم عند ما تدخلون هيكلها .  
خذوا السكة والكور والمطرقة والطنبور ،  
وكل مالديكم من الآلات التي صنعتوها رغبة في

قضاء حاجاتكم او سعيًا وراء مسراتكم وملذاتكم .  
لانكم لاتستطيعون ان ترتفعوا بتأملاتكم فوق  
أعمالكم ،

ولا تقدرون ان تنحدروا بتصرفاتكم الى أدنى من  
خيبتكم .

وليرافقكم جميع معارفكم من ابناء الانسان :  
لانكم لاتستطيعون في عبادتكم ان تحلقوا فوق آمالهم  
ولا أن تضعوا ذواتكم الى أحقر من يأسهم .  
وان شئتم ان تعرفوا ربكم فلا تُعنوا بحل الأُحاجي  
والأُلغاز ،

بل تأملوا فيما حولكم تجدوهُ لاعبًا مع اولادكم .  
وارفعوا انظاركم الى الفضاء الواسع تبصروهُ يمشى في  
السحاب ، ويبسط ذراعيه في البرق ، وينزل الى الارض مع  
قطرات المطر .

تأملوا جيداً تروا ربكم يتسم بثغور الازهار ، ثم

ينهض ويحرك يديه بالأشجار .  
وان مَنْ أُسعد بمثل هذه العقيدة الصحيحة في الدين،  
تقوى إيمانه وتنزل عليه الوحي السماوي، يستطيع ان يستقبل  
الحياة بحزم وثبات ويقتبل الموت بلا خوف ولا وجل .  
والموت — كما يقول جبران — لا تقدر ان نجده الا في قلب  
الحياة .

« لان الحياة والموت واحد كما ان النهر والبحر واحد »  
ايضاً .

وهكذا نرى هذا العبقري الحكيم يبعث من اعماق  
قلبه اصدق الآمال بالخلود والابدية وهو ابدًا ثابت الايمان  
بصلاح الله ورحمته وعدالته . وما اجمل قوله في الموت :  
« وهل موت الانسان هو اكثر من وقوفه عاريًا في

الريح وذوبانه في حرارة الشمس ؟

انكم لا تستطيعون ان تترنموا بالناشيد حتى تشربوا  
من نهر الصمت ،

ولا تستطيعون ان تباشروا الصعود الى الجبال حتى  
تبلغوا الى قمتها ،  
ولنْ تقدروا أن ترقصوا حتى تسلبكم الارض جميع  
اعضائكم . »

واننى اصارحكم القول ، ايها الاصدقاء ، معترفاً اننى لم  
يسبق لى قط أن تحركت نفسى من اعماقها كما حصل لى بعد  
ان قرأت هذا الكتاب المرة بعد المرة . فلماذا أثر فى حياتى  
كل هذا التأثير البالغ ؟ وهل يكون له نفس هذا التأثير فى  
حياة غيرى ؟ اننى لا استطيع ان اجيب عن غيرى ، ولكننى  
اعرف تمام المعرفة ان ما احدثه هذا الكتاب فى حياتى ناجم  
عن انه أوضح بكمال الدقة والفن والجمال ما يخيّل الى الناظر  
اليه انه فلسفة جديدة فى الحياة ، ولكننى اعرف انه ليس  
بالجديد البتة ، ففى اقوال جبران اسمع ثانية ترانيم المرنمين  
القدماء ، وتعاليم الانبياء والحكماء وغيرهم من رجال العهد  
القديم الذين تكلموا باسم اله اسرائيل العظيم . واننى

اجدُ ثانی مرّةٍ فی نفس جبران ، التي وَجَدَتْ سبيلها الى الاتحاد  
بنفس الوجود العظمى ، ذلك الافتتان بالروح الالهية التي  
ملأت حياة معلمى اسرائيل وحملتهم بوحيا العجيب على  
النطق بكلمات خالدة لم يزدها كرور الايام الا جدةً وقوة .  
ومن فم هذا المعلم الجديد جبران أسمع في هذا القرن العشرين  
بشارة اليهودى الحكيم القديم : بشارة النور والمحبة : بشارة  
الانسانية المقدسة : البشارة المعلمة ان الانسان اخٌ للانسان  
وان الله اب لجميع الناس على السواء .

ولذلك فأننى لا استمد من هذا الكتاب وحيًا لفكرى  
فحسب بل اتخذ منه آمالًا نيرّات لقلبي كرجل اسرائيلى  
لا غش فيه . لانى أرى فيه دليلًا جديدًا على ان الرسالة  
الروحية العظمى التي نشرتها اليهودية القديمة قد اصبحت  
الرسالة السماوية التي يسلم بها كبار المفكرين والمفكرات  
فى جميع العصور والامصار ، وان السنة الانبياء الفضية فى  
العالم الجديد تنقل للناس الرجاء النبوى العظيم وتقودهم اكثر

فاكثر الى تحقيق الرؤيا التي رآها اسرائيل القديم حينما  
« يكون الله واحداً واسمه واحداً . »

ليس جبران يهودياً بطائفته ولكنه يهودى بروحه .  
لان اليهودى ليس الخارج من صلب يهودى فقط ، بل هو  
ذلك الممتلئ بروح الايمان بالله الذى يقدر حياة الانسان  
ويرفعها الى الجبل المقدس الذى ترنم به المرنم بقوله :  
« مَنْ يصعد الى جبل الرب ؟ او من يقوم فى ديار  
قدسه ؟ الطاهر اليدين والنقى القلب : الذى لم يحمل نفسه الى  
الباطل ولم يحلف بالغش لقريبه . هذا ينال بركة من الرب  
وبراً من اله خلاصه . هذا هو جيل طالبيه ، ملتمسى وجهك  
يا اله اسرائيل . »

« انتهى »

# مؤلفات جبران خليل جبران

تطلب من مكتبة العرب بالفجالة بمصر

## البلدائع والطرائف

أبدع مجموعة ظهرت من تأليف جبران خليل جبران الشاعر  
النثر والراسم الشاعر وكفى . رسومه الساكنة الناطقة بهجة الانظار  
واقواله المنشورة سارت سير الامثال  
واشعاره المنظومة ، وان قلت ، طرف يتناشدها الادباء  
في الاسمار والاسحار فيها الابر وفيها الحكم والعبر  
لكنها ، مسطورة في هذه المجلة او تلك ، الصحيفة درراً نثيرة  
وحوراً مبعثرة ، تكلف الغواص عليها وقتاً وعنتاً فأينا ان نفر له  
الوقت يضيع سدى ونحتمل عنه العنت . فجمعنا ، بعد العناء ما تبدد  
من مقالاته المانعة ومنظوماته الرائعة ورسومه الوسيعة الفاتنة كل  
جديد طارف محلى بسبعة عشر رسماً الى اكبر مشاهير العرب  
كأبو الطيب المتنبي وابن خلدون ومجنون ليلى وابو العلاء المعري  
وابو نواس وابن سينا والغزالي وابن الفارض والمعتد بن عباد  
والخنساء وغيرهم من مشاهير السلف والكتاب يقع في ٢٢٥ صفحة  
بالقطع الكبير وثمنه ١٥ قرشاً والبريد ٣ قروش



المواكب من مؤلفات جبران الرمزية الشعرية . وهو مؤلف  
من قسمين أوليين : الرسوم والقصائد . اما القصائد او بالحري  
القصيدة فهي مؤلفة من مقاطيع تبحث في مواضيع مختلفة فلسفية  
يتكلم بها سلباً وإيجاباً شخصان في موضوع واحد . فالشخص الاول -  
وهو الشيخ أو الفيلسوف المختبر خبرةً - يقف خطيباً على منبر  
الحياة ويكرر محاولاً تفسير اسرارها واعظاً وعظ الشيوخ المتعمقين  
حكمة . ولما ينتهي من ابداء رأيه في الموضوع يردّ عليه صوت قى  
في عنفوان الشباب وقف على منبر الطبيعة في الغاب يرافق صوته  
الحنان الناي داعياً الناس معه الى الغاب حيث لا حكمة ولا فلسفة  
بل البساطة المطلقة بعينها لا تحجزها حدود ولا تحدّها شرائع .  
والكتاب مزين باثني عشر رسماً من ريشة جبران  
وثمنه ٥ قروش والبريد ٢ قرشان

## دمعة وابتسامة

مجموعة مقالات جبران الذي اكتسب محبة قراء العربية  
واعجابهم في وقت قصير . نحتوى على ستين مقالة بين حكاية ونثر  
شعري شائق المواضيع . وحرى بكل اديب وادبية اقتنائها وهي  
مطبوعة بأمركا على ورق جيد مزينة ببعض الرسوم في ٢٣٦ صفحة  
كبيرة وثمنها ١٥ قرشاً والبريد ٥ قروش

## الاباء والبنون

لمخائيل نعيمة

طبعت هذه الرواية الاخلاقية الانتقادية في اميركا . وقائعها  
مأخوذة من حياتنا السورية الحقيقية . ومما تمثله هذه الرواية العراك  
الدائم بين الناشئة الجديدة والجيل القديم — بين الاباء والبنين ،  
وتأثير التعاليم الجديدة في الشبان ، وفوز الحب الطاهر المتغلب على  
كل صعوبة . وثمنها ١٢ قرشاً والبريد ٣ قروش

## رواية زنبقة الغور

لامين الريحاني

لانبالغ اذا قلنا ان هذه الرواية هي افضل ما صدر من المؤلفات  
الحديثة التي سيكون لها شأن في تاريخ الاداب العربية . بل هي  
أحسن ما جاد به قلم مؤلفها الكاتب الشهير المعروف في الشرق  
والغرب (طبع أميركا) . ثمنها ١٥ قرشاً والبريد ٣ قروش

مطبوعات حديثة تطلب من مكتبة العرب بالفجالة بمصر

- ١٠ مذكرات سفير اميركا في الامتانة تعريب فؤاد صروف  
١٥ مذكرات المارشال هند نبرج رئيس جمهورية المانيا الحالى جزآن.

تعريب منصفان

- ١٥ مذكرات مدام اسكوييت تعريب اسعد خليل داغر  
٦٠ الجزء الحادى عشر من دائرة المعارف للبستاني مجلد  
٨ . روح الاجتماع تعريب المرحوم فتحى باشا زغلول  
١٢ لماذا انا مسيحى تعريب الارشمنديت انطونىوس بشير  
٨ رسبوتين الراهب المحتال تعريب اسعد خليل داغر  
٨ تذكرة الكاتب تأليف اسعد خليل داغر  
٥ تاريخ غليوم الثانى تعريب كريم خليل ثابت  
١٢ المرشد الظريف فى طالع الجنس اللطيف تعريب حنا اسعد المحامى.  
٨ القوة الفكرية فى المغنطيسية الحيوية » » »  
١٥ تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها الى الآن » » »  
٢٥ » » » » » » ( ورق جيد )  
٥ معارضات قصيدة يا ليل الصب للحصرى القيروانى بقلم عيسى.

اسكندر المعلوف

- ١٠ ماك سوينى الصوام الارلندى تاريخه ووصف سجنه  
١٢ نوادر الحرب العظمى وهى قصص فكاهية واقعية بالحرب العظمى.  
٣٠ الساق على الساق فيما هو القاريق تأليف احمد فارس الشدياق.

- ١٠ رسائل اليازجى للشيخ ابراهيم اليازجى مع ديوانه التاريخى
- ٢ نفثات مسجون وهو أدبى وطقى اجتماعى
- ٢ العصاميون الذين نبغوا من الفقر تعريب مفيد العياني
- ٢ الامتيازات الاجنبية وحقوق الاقليات فى تركيا وهى المذكرة  
المقدمة لمؤتمر لوزان تعريب اسكندر عمون
- ٥ مجموعة خطب سعد باشا الحديثة مزينة بالصور والرسوم
- ٢٠ ديوان الفجر الاول نظم خليل افندى شيبوب
- ٨ » الهجو لأحد الشعراء
- ٥ » البدويات جزآن نظمه محمد بدوى عبده
- ٥ رواية فاتنة الامبراطور فرنسوا جوزيف امبراطور النمسا
- ٥ » عمر وجهيله أوى ربا لبنان مزينة بالصور
- ٤ » ذات الخدر بقلم المرحوم سعيد البستاني
- ٥ » فى سبيل الله والقيصر
- ٥ كتاب تهذيب النفس بقلم فؤاد صروف
- ١٠ مشاهد العالم الجديد وهى رحلة الى الولايات المتحدة بقلم فؤاد صروف
- ١٠ علمان فى عمان بقلم خير الدين الزركلى
- ٢٥ جوهر النظام فى علمى الأديان والأحكام لعبد الله بن حميد  
بن سلوم ساملى
- ٥ مناظرات الاناشيد الوطنية لمنصور عوض
- ٢ الداء والشفاء قصيدتان للمرحوم سليمان البستاني